جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

مَادَة (لَقِي) فِي حَدِيثِ القُرْآنِ عَن مُّوسَى (عليه السلام) دراسة بلاغيّة حول الكلمة المفردة وأثر السياق في توجيه الدلالة

إعداد

د/ محمد عبد الكريم محمد عاشور
الأستاذ المساعد في قسم البلاغة والنقد
كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق

(العدد السادس والثلاثون)
(الإصدار الثاني .. مايو)
(١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م)

علمية - محكمة - ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

مادة (لقي) في حديث القرآن عن موسى (عليه السلام) دراسة بلاغيّة حول الكلمة المفردة وأثر السياق في توجيه الدلالة

محمد عبد الكريم محمد عاشور.

قسم البلاغة والنقد، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق، جامعة الأزهر، مصر.

البريد الالكتروني: MohammedAshour362.el@azhar.edu.eg

الملخص:

هذه دراسة بلاغية تحليلية لدلالات المفردة القرآنية، وأثر السياق في توجيه تلك الدلالات، والمقام الذي تطلبها؛ للوقوف على شيء من عطاءات القرآن الكريم في مفرداته وتراكيبه، وكانت مادة (لقي) في حديث القرآن عن موسى (عليه السلام)، هي محور ارتكاز تلك الدراسة، للوقوف على دلالات تلك المفردة بعد الوقوف على دلالتها المعجمية، وأثر السياق القرآني في ترجيح دلالة على أخرى، وتوليد معاني جديدة لتلك المادة داخل سياقها القرآني، وقد أضفت بتلك الدراسة لبنة جديدة فيما كنت قد بدأته في دراسة أخرى بعنوان (مقامات التعبير بمادتي القذف والرمي في النظم القرآني. فروق دلالية وأسرار بلاغية) ليكتمل بذلك النظر في دلالات المفردات المتقاربة في باب من المعاني، وقد اقتصرت على ما ورد من تلك المادة في حديث القرآن عن موسى (عليه السلام) نظرًا لتشعب تلك المادة في كثير من المقامات في القرآن الكريم، فأردت الاقتصار على مقام واحد، والوفاء به، تاركا بقية المقامات لدراسات أخرى، لعلها تكون أوفى وأتم، وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون المنهج التحليلي هو المنهج المعتمد له، بعد استقراء مادة البحث، واستنباط دلالاتها داخل سياقاتها ومدى مطابقتها للمقام الواردة فيه، مراعيا التسلسل الزماني في ترتيب السياقات التي وردت فيها المادة موضوع الدراسة

الكلمات المفتاحية: مادة، لقي، حديث القرآن، دراسة، بلاغية، السياق، الدلالة.

Article (Laqqi) in the hadith of the Qur'an on the authority of Moses (PBUH), a rhetorical study on the single word and the effect of the context in directing the meaning

Mohamed Abdel Karim Mohamed Ashour.
Rhetoric and Criticism Faculty of Islamic and Arabic Studies for Boys, Desouk, Al-Azhar University.
Email: MohammedAshour362.el@azhar.edu.eg

Abstract:
Praise be to God, prayer and peace be upon the Messenger of Allah and after...This is a rhetorical and analytical study of individual connotations of the Qur'anic vocabulary, and the impact of the context in guiding those connotations, and the position that requires them. In order to find out about some of the gifts of the Noble Qur'an in its vocabulary and structures, and the article (Laqqi) in the hadith of the Qur'an on the authority of Moses (PBUH), is the focus of this study, to stand on the Qur'anic connotations of that term after examining its lexical connotations, and the impact of the Qur'anic context in favoring an indication of Others, and generating new meanings for that article within its Qur'anic context .This study added a new brick to what I had started in another study entitled (Statements of Expression in the Matters of Defamation and Throwing in the Qur'anic Systems. Semantic Differences and Rhetorical Secrets) to complete the consideration of the connotations of convergent vocabulary in a section of meanings, and it was limited to what was mentioned in that article in The hadith of the Qur'an on the authority of Moses (PBUH) In view of the ramifications of this article in many stations in the Holy Qur'an, I wanted to confine myself to one station and fulfill it, leaving the rest of the stations to other studies, in the hope that it will be more complete and complete.

Keywords: Article, Find, Hadith of the Qur'an, Rhetorical Study, Context, Meaning.

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا، والصلاة والسلام على من تلقى القرآن من لدن حكيم عليم، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد،،،

فهذه دراسة بلاغية تحليلية لدلالات المفردة القرآنية، وأثر السياق في توجيه تلك الدلالة، والمقام الذي تطلبها؛ للوقوف على شيء من عطاءات القرآن الكريم في مفرداته وتراكيبه، وكانت مادة (لقي) في حديث القرآن عن موسى (عليه السلام)، هي محور ارتكاز تلك الدراسة، للوقف على الدلالات القرآنية لتلك المفردة بعد الوقوف على دلالاتها المعجمية، وأثر السياق القرآني في ترجيح دلالة على أخرى، وتوليد معاني جديدة لتلك المادة داخل سياقها القرآني.

وتظهر أهمية تلك الدراسة في إبراز جانب من جوانب الإعجاز القرآني وهو ما يتعلق بالمفردة القرآنية وخصوصيتها في سياقاتها المختلفة، وقد كان مما منّ الله به عليّ من بحوث الترقية إلى درجة أستاذ مساعد، بحث عنوانه (مقامات التعبير بمادتي القذف والرمي في النظم القرآني. فروق دلالية وأسرار بلاغية). عرضت فيه مواقع التعبير بهاتين المادتين في القرآن الكريم ، والدَّلالات التي تحملها كل مفردة منهما في سياقها، وأثر السياق في توجيه تلك الدَّلالة.

وكان من الوفاء بالمقصود أن أقرن هاتين المادتين بمادة (لقي)؛ لما لها من وثيق الصلة بهما، ولكن نظرًا لطبيعة تلك البحوث التي تقتضي الاختصار وعدم التشعب، رأيت . فيما أشار علي به أساتذتي الكرام . وفي مشورتهم النفع . بإذن الله . أن أفرد مادة (لقي) بدراسة مستقلة؛ حيث كانت هذه المادة أكثر دورانًا في القرآن الكريم من أختيها، فقد وردت في مائة وثلاثة وثلاثين موضعًا، وفي مقامات مختلفة، مما اقتضى . أيضا . أن تقتصر هذه الدراسة على ما ورد في حديث القرآن عن موسى (عليه السلام)؛ لكونها أكثر دورانا في هذا المقام من غيره من المقامات الأخرى، تاركا بقية المقامات لدراسات أخرى؛ لتكون أوفى وأتم.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يأتي في مقدمة وتمهيد وستة مباحث وخاتمة.

احتوت المقدمة على مدخل إلى الموضوع ودوافع اختياره وخطة البحث ومنهج الدراسة، وبينت في التمهيد الدلالة المعجمية لمادة (لقي)، ومواضع ذكرها في حديث القرآن عن موسى (عليه السلام)، أما المباحث فكانت على النحو التالي:

المبحث الأول: مادة (لقي) في سياق الحيث عن موسى (عليه السلام) وأمّه.

المبحث الثاني: ماد (لقي) في سياق الحديث عن موسى وأهل مدين.

المبحث الثالث: مادة (لقي) في سياق الحديث عن عصا موسى (عليه السلام).

المبحث الرابع : مادة (لقي) في سياق الحديث عن موسى (عليه السلام) والسامري.

المبحث الخامس: مادة (لقي) في سياق الحديث عن موسى (عليه السلام) والألواح.

المبحث السادس: مادة (لقي) في سياق الحديث عن موسى (عليه السلام) والعبد الصالح ـ الخضر (عليه السلام) ..

كما اقتضت طبيعة البحث أن يكون المنهج التحليلي هو المنهج المعتمد له، بعد استقراء مادة البحث، واستنباط دلالاتها داخل سياقاتها ومدى مطابقتها للمقام الواردة فيه، مراعيا التسلسل الزماني في ترتيب السياقات التي وردت فيها المادة موضوع الدراسة

وبعد،، فالله أسأل أن يتقبل مني ما كتبت خالصا لوجهه، مبتغيا به مرضاته ، وأن يتجاوز عني ما قصرت فيه، فهو ولي ذلك والقادر عليه .

تمهيـــد

أولًا: الدلالة المعجمية لمادة لقي:

قال الخليل (رحمه الله) في معجمه: " اللُّقيانُ: كل شيئين يَلْقَى أحدهما صاحبه فهما لَقِيانِ. ... واللَّقَى: ما أَلْقَى الناس من خرقة ونحوه. والأُلْقِيَّةُ: واحدة من قولك: لَقِيَ فلان الأَلاقيَّ من عسر وشر أي أفاعيل .... والرجل يُلقي الكلام والقراءة أي يُلقِّنه. وتَلَقَّيْتُ الكلام منه: أخذته عنه. (١)

وقال الجوهري (رحمه الله): "لَقيتُهُ لِقاءً بالمد، ولُقًى بالضم والقصر، ولُقِيًّا بالتشديد، ولُقْياناً، ولُقْيانةً واحدةً ولَقْيَةً واحدةً ولِقاءةً واحدةً. وألْقَيتُهُ، أي طرحته. تقول: ألقِهِ من يدك، وألقِ به من يدك. وألْقَيْتُ إليه المودة وبالمودة. وألقَيْتُ عليه أُلْقِيَّةً، كقولك: ألقَيْتُ عليه أُحْجِيَّةً، كلّ ذلك يقال. والتقوا وتَلاقوا بمعنًى. واسْتَلْقى على قفاه. وتَلَقَّاهُ، أي استقبله. وقوله تعالى: "إذ تَلَقَّوْنَهُ بألسِنَتكم" أي يأخذُه بعضٌ عن بعض. وجلس تِلْقاءهُ، أي حذاءه. والتِلْقاءُ أيضاً: مصدرٌ مثل اللِقاء. وقال:

أمَّلْتُ خَيْرَكَ هل تأتي مَواعِدُهُ فاليومَ قَصَّرَ عن تِلقائِهِ الأملُ

واللَقى بالفتح: الشيء المُلْقى لهوانه؛ وجمعه أَلْقاءٌ. وقال:

وكنتَ لَقًى تجري عليك السَوائلُ

وشَقيٌّ لَقيٌّ إتباعٌ له. (٢) بما يعني أن الشقي ملقي عند للناس لهوانه.

---

(١) العين : أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ) تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي (دار ومكتبة الهلال. دون تاريخ(مادة (لقي) .

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية . لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي . تحقيق : أحمد عبد الغفور العطار (دار العلم للملايين ـ بيروت . ط . الرابعة : ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م) مادة (لقي)

وجاء في لسان العرب " كل شيء استقبل شيئا أو صادفه فقد لقيه، ومنه حديث ام المؤمنين عائشة (رضي الله عنها): "إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل"[١] أي حاذى أحدهما الآخر تلامسا أم لم يتلامسا، .... ورجل ملقىً: لا يزال يلقه مكروه، ولقيت منه الألاقي، أي الشدائد، والملاقي: أشراف نواحي في أعلى الجبل، لا يزال يمثل عليها الوعل يعتصم بها من الصياد، واحدتها ملقة، وهي الصفاة الملساة، والميم يها أصلية، وروي أنه ملتقى ما بين الجبلين .... وألقى الشيء : طرحه، وفي الحديث " إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يُلْقِي لَهَا بَالًا...."[٢] أي ما يحضر قلبه لما يقوله منها .... واللقي : الملقى على الأرض، وفي حديث حكيم بن حزام "وأخذت ثيابها فجعلت لَقىً" أي مرماة ملقاة[٣]. قال أبو الهيثم : اللقى ثوب المحرم يلقيه إذا طاف باليت في الجاهلية، وجكعه ألقاء، واللقى: كل شيء مطروح متروك كاللقطة. ..... والألقية: ما ألقي، وقد تلاقوا بها كتحاجوا، ألقيت عليه ألقية، كقولك: ألقيت عليه أحجية، قال الأزهري : معناه كلمة معاياة يلقيها عليه ليستخرجها[٤] ..... والتلقي هو الاستقبال، ومنه النهي

(١) سنن ابن ماجة : أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني . تحقيق : شعيب الأرنؤوط . (دار الرسالة العلمية . ط: الأولى : ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م) باب إذا التقى الختانان وجب الغسل . حديث رقم : ٦٠٨

(٢) الموطأ: للإمام مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩هـ) تحقيق: بشار عواد معروف – محمود خليل (مؤسسة الرسالة: ١٤١٢ هـ) باب ما يؤمر به من التحفظ. حديث رقم: ٢٠٧٣.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر : مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ) تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي (المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م) جـ٤/صـ٢٦٧ .

(٤) تهذيب اللغة . محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي . تحقيق . محمد عوض مرعب (دار إحياء التراث العربي ـ بيروت . ط . الأولى . ٢٠٠١م) مادة لقي

عن تلقي الركبان في قوله (ﷺ) : " لا تتلقوا الركبان" [1]، ومعناه أن يستقبل الحضري البدوي قبل وصوله إلى البلد، ويخبره بكساد ما معه كذبا؛ ليشتري منه سلعته بالوكس، وأقل من الثمن . ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ فصلت:٣٥ . وقيل في قوله : (وما يلقاها) أي : ما يعلمها ويوفق لها إلا الصابرون.....وتَلَقَّاه أَي استقبله. وفلان يَتَلَقَّى فلاناً أَي يَسْتَقْبِله. والرجل يُلَقَّى الكلام أَي يُلَقَّنه. وقوله تعالى: ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ ﴾ النور: ١٥ ؛ أَي يأْخذ بعض عن بعض. وأَما قوله تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ ﴾ البقرة: ٣٧ ؛ فمعناه أَنه أَخذها عنه، ومثله لَقِنَها وتَلَقَّنَها، وقيل: فتَلَقَّى آدمُ من ربه كلماتٍ، أَي تَعلَّمها ودعا بها[2]. وعليه فإن الدلالة المعجمية لمادة (لقي) تدور حول الطرح والاستقبال.

ثانيًا: مواضع مادة (لقي) في سياق حديث القرآن عن موسى (عليه السلام).

وردت مادة لقي في القرآن الكريم في ثنايا الحديث عن موسى (عليه السلام) في سبعة وعشرين موضعا[3]، وهي وفق الترتيب المصحفيّ على النحو التالي:

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ ﴾ الأعراف: ١٠٧.

---

(١)السنن الكبرى: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) تحقيق : محمد عبد القادر عطا (دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م) باب النهي عن تلقي السلع. حديث رقم ١٠٩١٦ .

(٢) لسان العرب . محمد جمال الدين بن منظور . (دار صادر ـ بيروت . ط. الثالثة . ١٤١٤هـ) مادة (لقا)

(٣) سورة الأعراف: الآيات (١٠٧، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١٢٠، ١٥٠) وسورة يونس: الآيات (٨٠، ٨١) الكهف: الآيات (٦٢، ٧٤) وطه: الآيات: (١٩، ٢٠، ٣٩، ٦٥، ٦٦، ٦٩، ٧٠، ٨٧) والشعراء: الآيات (٣٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦) والنمل: آية ١٠، القصص: الآيات (٧، ٢٢،٣١).

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ الأعراف: ١١٥ – ١١٧.
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ الأعراف: ١٢٠.
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ ﴾ الأعراف: ١٥٠.
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ يونس: ٨٠ – ٨١.
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ ﴾ الكهف: ٦٢.
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ ۖ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ﴾ الكهف: ٧٤.
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾ طه: ١٩ – ٢٠.
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ ﴾ طه: ٣٩.
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ ﴾ طه: ٦٥ – ٦٦.

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ ﴾ طه: ٦٩ – ٧٠.
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ ﴾ طه: ٨٧.
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ ﴾ الشعراء: ٣٢، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ الشعراء: ٤٣ – ٤٦.
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ النمل: ١٠.
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۖ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ القصص: ٧.
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ ﴾ القصص: ٢٢.
- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ القصص: ٣١.

المبحث الأول: مادة (لقي) في مقام الحيث عن موسى (عليه السلام) وأمّه.

وردت مادة لقي في حديث القرآن عن موسى (عليه السلام) وأمه، حين أمرها الله ـ تعالى ـ بوضع ولدها في اليمّ، وذلك في موضعين اثنين:

الأول: قولـه تعـالى: ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾ ﴾ طه: ٣٧ ـ ٣٩

والثـاني: قولـه تعـالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۖ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ القصص: ٧.

وتتجلى في تلك الآيات عناية الله التامة بنبيه موسى (عليه السلام)، وحفظه له من بطش عدوه، وتلك سنة الله مع أوليائه في كل زمان ومكان.

والملاحظ أن تعبير القرآن عن وحي الله لأم موسى بوضعه (عليه السلام) في اليم جاء مُعبَّرا عنه في سورة طه بالقذف، وفي سورة القصص بالإلقاء، ثم إن الإلقاء في سورة طه ورد مضافا إلى اليم، بخلاف سورة القصص، الذي سكت عن فعل اليم، وهذا ما نعرض له بحول الله ـ تعالى ..

أما الآية الأولى التي عبر فيها عن وضع أم موسى له في اليم بالقذف، فقد وردت في سياق تذكير موسى (عليه السلام) بنعم الله عليه، حين سأل موسى ربه أن يجعل له من أهله وزيرًا، يشدّ به أزره ويشركه في أمره، فمنّ الله عليه باستجابة سؤله، وذكره بما أنعم عليه من قبل دون سؤال منه، وقد كان حاله يومئذ أضعف منه الآن، والشدة يومئذ أقوى، فإذا كان ربك لم يضيعك صغيرا فكيف يسلمك كبيرا، فأبرزت الآيات عناية الله بنبيه في الوقت الذي اشتد عليه الناس، وأنه كان في ذلك الوقت أرحم به من أمه، وأشفق عليه منها.

فعبر بالقذف في جانب الأم، دليلا إلى شدة المسارعة بالتخلص منه استجابة لأمر الله، والثقة في موعوده، والتخلي عن طبع الشفقة فيها التي جبلت عليه كل أم.

ثم عبر بالإلقاء في جانب اليمّ فقال ﴿فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾ ولم يقل فليقذفه جريا على الكلام السابق؛ لأنه أراد أن يقطع أساب الرجاء من البشر والتعلق بهم، ويوصلها بالله (سبحانه وتعالى)، القادر على تسخير الأشياء، وتحريك الجمادات بالعطف والإشفاق، فهذا اليم يسلمه على وجه يقتضي اللطف، ويضعه على ساحله وضعا مستقرا لا قلق فيه، بخلاف القذف الذي يقع كيفما اتفق وعلى أية حال، فالأم تقذف بشدة، واليم يلقي برفق وهوادة، وهو مسخر في ذلك بأمر الله، وهو ما تؤكده لام الأمر في قوله: ﴿فَلْيُلْقِهِ﴾ فهو ألقاء مصحوب بأمر الله وتسخيره، القادر على تسخير كل شيء .

وتأكيدًا على هذا اللطف والعانية من الله بكليمه جاء قوله: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾﴾ فعبر بالإلقاء عما يجده الرائي لموسى (عليه السلام) من شعور بالمحبة؛ تجسيدًا لتلك المحبة، وتصويرًا لها بالشيء الحسيّ، يضعه الواضع بيده ويتعهده بنفسه، وكأن تلك المحبة التي يجدها الناظر لموسى (عليه السلام) قد وضعت وضعًا في قلوب الناس، دون مقدرة من موسى على وضعها، ولا طاقة من الناظرين على دفعها.

وتلك النعمة من جملة ما منّ الله به على موسى (عليه السلام)، حيث وقعت هذه الجملة ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾﴾ معطوفة على جملة ﴿إِذْ

﴿ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴾ أي اذكر فضلنا عليك وإحساننا إليك حين أو حينا إلى أمك ما كان به سلامتك من الموت ، وحين ألقيت عليك محبة .. (١).

وتقديم الجار والمجرور (عليك) على المتعلق (محبة) فيه عناية بالغة بمن ألقيت عليه تلك المحبة، وبيان لمكانته عن ربه (ﷻ) الذي ألقى عليه بها، وتنكير (المحبة) يكشف عن خصوصيتها، وأنها ليست كغيرها من أنواع المحبة التي يتعارفها الناس، "وأنها محبة خارقة للعادة؛ لعدم ابتداء أسباب المحبة العرفية من الإلف والانتفاع"(٢)، أو غيره من بواعث المحبة في قلوب الناس تجاه بعضهم بعضا، وإنما هي محبة من الله، فلا غرو أن نرى موسى يُربَّى وينشّأ في بيت فرعون، "ويدرج بينهم، ويتعلم الكلام من سماع كلامهم، وينهض ويقف وأيديهم تسانده، ويتعلم المشي خطوة خطوة وأيديهم تساعده، ويلبث فيهم من عمره سنين، ويقال له ابن فرعون ..."(٣)، وغير ذلك من مظاهر عناية الله بموسى، وصناعته على عينه، ومننه الكبرى على كليمه (عليه السلام)؛ لذلك كان من الوفاء ببر تلك النعم ألا يقع في النفس ظن بالخذلان أو خوف من عدو.

أما الموضع الثاني : وهو ما جاء في سورة القصص في قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٧ ﴾ القصص: ٧.

(١) ينظر : التحرير والتنوير: التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» : محمد الطاهر بن محمد بن عاشور (الدار التونسية للنشر ـ تونس . ١٩٨٤ م) ٢١٧/١٦.

(٢) السابق : الصفحة ذاتها.

(٣) من حديث يوسف وموسى في الذكر الحكيم: د/ محمد أبو موسى . (مكتبة وهبة ـ القاهرة . الطبعة : الأولى: ١١٤٤٢هـ ـ ٢٠٢١م) صـ ٣٧. بتصرف.

الآية في سياق الحديث عمّا من الله ـ تعالى ـ به على بني إسرائيل، الأمر المشار إليه في قوله : ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ ﴾ القصص: ٥ . وهذا المنّ والتمكين من الله ، جاء في مقابلة ما قصده فرعون من التنكيل بهم والاستعلاء عليهم.

"وقد نزلت تلك السورة المباركة في مكة والمسلون حينئذ قلة مستضعفة، والمشركون أصحاب الحول والطول... نزلت تلك السورة تضع الموازين الحقيقية للقوى والقيم، وتقرر أن هناك قوة واحدة في هذا الوجود هي قوة الله، وأن هناك قيمة واحدة هي قيمة الإيمان، فمن كانت قوة الله معه فلا خوف عليه، ومن كانت قوة الله عليه فلا أمن له"(١)، فنزلت تبث الثقة في قلوب المسلمين، وتبشرهم بالتمكين في الأرض، والغلبة على أعدائهم، كما كان من نبأ موسى وفرعون الذي قصه الله على نبيه في تلك السورة.

وقوله : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ هو من جملة ما أراده الله ـ تعالى ـ من المنّ على الذين استضعفوا، والقضاء على فرعون وقومه، وليس فيه سابق لفت أو تنبيه، وإنما هو المنّ من الله ابتداء على أوليائه الذين استضعفوا في الأرض.

وقد جاءت مادة (لقي) هنا في قالب الأمر﴿ألقيه﴾، والمقصود بها الطرح والوضع، ولكن لا يخفى ما ينداح عليها من السياق من معاني الرأفة والرحمة التي تناسب المنّ على الذين استضعفوا، وأنه وضع مصحوب بعناية ورحمة وشفقة؛ لذا جاء واقعًا في جواب الشرط ﴿فَإِذَا خِفْتِ﴾، الذي أداته (إذا) إشارة إلى تحقق وقوع الخوف، وأن بواعثه حاصلة لا محالة، وهو ما لم يَرِد الحديث عنه

(١) ينظر: في ظلال القرآن : سيد سابق . (دار الشروق . الطبعة : الثانية : ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م) جـ٥/صـ٢٦٧٣.

في سورة (طه)، والتي جاء فيها الأمر بالقذف في التابوت مباشرة دون تقديم؛ لأن المقصود هنا بيان الرأفة والرحمة بالمستضعفين، فكان تقييد الإلقاء بالخوف لإظهار جانب الشفقة والرحمة بالملقي، وأنه ليس طرحا للشيء مسببا عن هوانه، وإنما الخوف عليه والشفقة به، ولو عبر بالقذف أو الرمي لما رأينا تلك الدلالة، فكان من تمام لطف الله بنبيه والمستضعفين أن عبر بالإلقاء، لما في تلك المادة من لين ورفق، نراه محمولا على حرف اللام، الذي هو أشبه ما يكون بأصوات اللين(١).

ومما زاد من إبراز ذلك اللين التقديم بين يدي الإلقاء بذكر الرضاع، الأمر الذي خلا منه ـ أيضا ـ سياق سورة (طه)؛ لأن المقام هنا مقام لطف وعناية ومنة من الله ابتداء، فكان ذلك مناسبا لحشد تلك الوسائل المعبرة عن تمام اللطف والعناية، والتي كان منها ـ أيضا ـ التسرية على أم موسى، في قوله : ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيۖ﴾، "والخوف: توقع أمر مكروه، والحزن: حالة نفسية تنشأ من حادث مكروه للنفس كفوات أمر محبوب، أو فقد حبيب، أو بعده، أو نحو ذلك، والمعنى: لا تخافي عليه الهلاك من الإلقاء في اليم، ولا تحزني على فراقه"(٢).

ثم ازداد الارتقاء في بيان لطف الله تعالى بعباده، وعنايته بهم، حين زفّ إليها تلك البشارتين العظيمتين : ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾، ولم يقل سنرده وسنجعله، مناسبة لما سيحصل في المستقبل، وإنما جاء بذلك الوعد في قالب اسم الفاعل الدال على الثبات والاستقرار ﴿رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ﴾ لانقضاء الحكم برده إليها، وجعله رسولًا مبلغا عن ربه، وكأنه حين إلقائها إليه في اليم صار بين يديها شابًّا قويًا مستويًا قد بلغ أشده، ويبلّغ رسالة ربه، وليس بعد ذلك من فضل وبشارة ولطف وعناية.

(١) أصوات اللغة العربية : د/ عبد الغفار هلال. (مطبعة الجبلاوي. لطبعة الثاني. ١٤٠٨هـ ـ١٩٨٨م) صـ ١٩١.

(٢) التحرير والتنوير: ٢٠/٧٥.

المبحث الثاني: ماد لقي في سياق الحديث عن موسى وأهل مدين

وردت مادة لقي سياق الحديث عن انتقال موسى (عليه السلام) إلى مدين في قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ ﴾ القصص: ٢٢.

الواو في قوله : (ولمّا) لاستئناف خبر جديد يحمل لطفا آخر من ألطاف الله بنبيه موسى (عليه السلام)، وذلك حين خرج من مدينة فرعون خائفًا يترقب بعد مقتل القبطي، فهداه المسير إلى ناحية مدين [١].

والتلقاء: مصدر على زنة تفعال، وهو جهة اللقاء، أي الجهة المقابلة، كما يستعمل ظرف مكان، كما في تلك الآية[٢]، والمقصد ناحية مدين وفي مقابلتها، وليس إلى مدين، مما يدل على أن موسى (عليه السلام) حين خرج من المدينة لم يكن قاصدا جهة بعينها، وإنما هدي إلى ناحيتها اهتداءً، وقد قالوا: "إنه كان لمدين ثلاث طرق فأخذ موسى الطريق الوسطى، وجاء الطلاب عقيبه، فقالوا: إن الفارّ لا يأخذ الطريق الوسطى خوفًا على نفسه، بل الطرفين فشرعوا في الآخرين فلم يجدوه"[٣].

---

(١) مدين: بلد تقع في جنوب الشام وشمال الحجاز على بحر القلزم (الأحمر) محاذية لتبوك . ينظر: معجم البلدان: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ) (دار صادر، بيروت . الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م)جـ٥/صـ٧٧.

(٢) ينظر: حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن : الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي (دار طوق النجاة، بيروت – لبنان . الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م) : ١٦٧/٢١.

(٣) روح البيان: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ) الناشر: دار الفكر – بيروت) ٣٩٤/٦. وحدائق الروح والريحان : ١٤٤/٢١.

والتعبير بمادة (لقي) هنا يعكس مدى عناية الله البالغة بنبيه موسى (عليه السلام) حينما بلغ الخوف منه مداه، فخرج من المدينة على خوف وحذر شديدين، يظهره قول الحق (عز وجل): ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾﴾ والترقب: تنظر الشيء وتوقعه[1]، وفيه دلالة على حالة من الاضطراب تستدعي من صاحبها كثرة التلفت برقبته في كل اتجاه، ينظر هل يتبعه أحد[2]؛ خشية أن تناله يد الفرعون، والمضارع في (يترقب) يستدعي تلك الصورة من زمنها الماضي، ويضعها أمام عيني وعينك وعين كل سامع وفارّ بدينه في زمننا هذا وحتى قيام الساعة، حالة الخوف والترقب هذه أوقفتنا على السرعة التي خرج بها موسى (عليه السلام)، وأنه لم يكن قاصدًا جهة بعينها، حتى بلغ به المسير إلى ذلك المكان، فبدأت نسائم الطمأنينة تنساب إلى قلبه، فتثاقلت الخُطى، نرى وقع هذا التثاقل باديًا على كلمات النظم الكريم وحروفه، فنراه في تضعيف الميم في (لمّا) وكذلك امتداد الصوت بحروف المدّ (الألف والياء) في (لما، تلقاء، قال،عسى، ربي، يهديني، سواء، السبيل) كل تلك الامتدادات الصوتية وأخذها حيزًا زمانيًا أطول من غيرها، لا شك في أنها تفرغ شحنات من معاناة في الصدر، لا تغني غيرها غناءها في حمل ذلك الهم، والتفعل في (توجه) يحمل احتشادًا بالغًا في ذلك التوجه، فكان من المناسب جدًا أن تأتي تلك المادة (لقي) بما تحمله من تؤدة ويسر تعكس لطف الله بموسى (عليه السلام) وعنايته به في هذا المقام، وتضمن له السلامة التي كان يرجوها في قوله: ﴿عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾.

(١) لسان العبر: مادة: (رقب)

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور . إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي . (دار الكتاب الإسلامي، القاهرة . دون رقم الطبعة وتاريخها):٢٦٣/١٤.

وقد وقعت جملة ﴿عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ٢٢﴾ موقع الجواب عن سؤال أثاره الكلام السابق، يتطلع من خلاله السامع إلى معرفة ما كان من موسى (عليه السلام) حينما وجد نفسه تلقاء مدين، وجاءت (عسى) هنا ترسم ساحات الرجاء التي لجأ إليها موسى (عليه السلام)، مطمئنة نفسه بما عند الله، وموعوده له، وإظهار لفظ الربوبية في هذا المقام يزيد من بيان لطف الله بنبيه، وحفظه له ورعايته، وإضافة الرب إلى ضمير التكلم، تعكس تلك الوحدة التي شعر بها موسى (عليه السلام) في خروجه هذا، وأنه أن قد استعاض عنه بقربه من ربه .

و﴿سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ من إضافة الصفة إلى الموصوف، والسواء هو المستقيم، وهو أقرب الطرق الموصلة بين طرفين، قدم على موصوفه لأنه الأعنى والمقصود، فالذي يعنيه أن يصل إلى مأمنه من أقرب طريق.

وعليه فقد جاءت مادة (لقي) هنا تعكس في سياقها عناية الله بنبيه موسى في هذا المقام "الذي الذي امتدت إليه في صغره بالرعاية والحماية، ترعاه في كبره ولا تسلمه لأعدائه أبدا...وها هو يصل إلى حيث لا تمتد إليه اليد الباطشة بالسوء"[1].

(١) في ظلال القرآن: ٥/٢٦٨٥.

المبحث الثالث: مادة لقي في سياق الحديث عن عصا موسى (عليه السلام)

من المعلوم أن عصا موسى (عليه السلام) كان لها دور بالغ وظهور واضح في دعوته، فقد كانت حجته على نبوته بين يدي فرعون وملأه، ومفتاح طريق نجاته حين ضرب بها البحر فانفلق كل فرق كالطود العظيم، وكانت سببًا في جريان الماء عيونًا لقومه حين استسقى لقومه.

وقد جاءت مادة لقي في سياق الحديث عن عصا موسى (عليه السلام) في أكثر من موضع في القرآن الكريم ، يمكن ردها جميعا إلى ثلاث مقامات:

الأول: مقام وحي الله لموسى (عليه السلام) وبيان معجزاته التي أكرمه الله بها.

الثاني: مقام لقاء موسى (عليه السلام) بفرعون وإظهار تلك المعجزات.

الثالث: لقاء موسى (عليه السلام) والسحرة.

أما المقام الأول فقد عرض له القران الكريم في ثلاث مواضع:

الأول: قولـه تعـالى: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾ طه: ١٧ – ٢١

الثـاني: قولـه تعـالى: ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ النمل: ١٠

الثالث: قوله تعالى: ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْـَٔامِنِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ القصص: ٣١

جاءت مادة (لقي) في تلك المواضع الثلاث والمقصود بها وضع الشيء على الأرض، وقد وردت في هذا المقام مصحوبة بما يدل صراحة على حالة الخوف التي اعترت سيدنا موسى (عليه السلام) في ذلك الموقف ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ﴾، ﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ﴾، ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ﴾، مما يستلزم استجماع القوى ورباطة

الجأش، فنبّه إلى وضع العصا برفق وتؤدة، تناسب جلال الموقف وجماله، ولو وضع (اقذف) أو (ارم)، لما رأينا تلك السكينة، وإنما كانت الجَلبَة والشدة التي لا تتلاءم مع ذلك المقام.

أما عن طريقة النظم في كل موضع فقد جاءت وفق ما يقتضيه السياق العام، والغرض المؤم له في سياق السورة كلها، فرأيناه في سورة طه يلائم سياق السورة، ومقصودها العام، "وهو ما تمثله من النموذج الكامل لرعاية الله لمن يختارهم لإبلاغ دعوته "[1]، فرأينا ذاك التلطف في السؤال ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾، والمقصود منه تهيئة نبيّ الله موسى (عليه السلام) لأمر عظيم سيحصل من خلال تلك العصا، فأشار إليه بما يوحي بأنها ذات مكانة وشأن تبعد به عن سائر العصيّ، والباء في بيمينك للإلصاق، فهي على قربها منك والتصاقها بك يخفى عليك ما فيها من أمور استودعها الله إياها، ما يجعلها كأنها بعيدة عنك.

وفي تكرار النداء على موسى مرة تلو مرة ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ... أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ﴾ مزيد إيناس له (عليه السلام)، وإظهار بالغ العناية به، وهو ما يقتضيه سياق السورة الكريمة، ولم نر في الموضعين الآخرين تلك المحاورة، بين الله (عز وجل) وموسى (عليه السلام)، لأمر اقتضاه مقامه هناك.

والجواب الصادر من موسى (عليه السلام) في قوله :﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾، يكشف عمّا استشعره موسى (عليه السلام) من إيناس في حضرة المولى (عز وجل)، مما استدعى منه إطالة الكلام وبسطه، وكان يكفي أن يقول: (عصا)، ولكنه ميّزها وأضافها لضميره وذكر بعض خصائها؛ إطالة للكلام في مقام من يُستطاب الكلام معه.

(١) في ظلال القرآن: ٤/٢٣٢٦.

وقولـه: ﴿فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾﴾، الإلقـاء هنـا هـو امتثـال للأمـر السابق، ومجانس له لفظًا ومعنىً، فيه من السكينة والوقار والجلال وشدة التهيؤ ما في الإلقاء الأول، والفاء فيه تكشف عن شدة المسارعة في استجابة الأمر، مع التلبس بجلال الموقف الذي انداح على وضع العصا وطرحها على الأرض، فكانت على النحو المذكور من الإلقاء، دون القذف أو الرمي.

أما سورة النمل فإن التركيز فيها منصب على العلم، " وتبرز تلك الصفة في جو السورة، تظلها بشتى الظلال في سياقها كله من المطلع إلى الختام"(١).

وكان من جملة تلك العلوم، قصة موسى (عليه السلام) مع أهله، حين عرض له اللقاء الأول بربه . ﷻ - . ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ النمل: ٧ -

وقوله : ﴿سَـَٔاتِيكُم﴾ جزم بالوعد، يناسب جدًا مقصد السورة الذي يرجع إلى العلم(٢)، بخلاف موضعي (طه والقصص) الذي بني فيه على الرجاء ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم﴾ طه: ١٠، والقصص: ٢٩؛ حيث لا تعلق فيه بهذا الغرض.

وقوله : ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ﴾ معطوف على ﴿أَنۢ بُورِكَ ﴾ فهو من جملة ما نودي به موسى، وجاء هنا مجردا من (أن) التي صرح بها في القصص؛ " لأن ما هنا تقدمه فعل بعد {أن}، وهو {بورك} فحسن عطف الفعل عليه، وما هناك لم يتقدمه

(١) في ظلال القرآن: ٥/٢٦٢٥.

(٢) نظم الدرر: ١٤/١٣٠.

فعل بعد {أن}، فذكرت {أن}؛ لتكون جملة {وأن ألق} معطوفة على جملة ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ﴾"[1].

والتعبير بالإلقاء هنا مناسب جدًا لهول الموقف وجلاله .كما في غيره من الموضعين الآخرين، فكان من الوفاء أن يُعبّر عن وضع العصا على الأرض بتلك المادة بما تحمله من هدوء وطمأنينة لا تكون إذا عبر عن ذلك بالرمي أو القذف.

والاستثناء في قوله: ﴿ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ فيه تعريض بما سيأتي الحديث عنه، من وقوع موسى (عليه السلام) فيما هو خلاف الأولى، من قتل القبطي[2]، وهذا من تمام علم الله المطلق، وهو من مقاصد السورة الشريفة، وفيه بشارة بالتوبة لمن بدل حسنا بعد سوء.

ثانيًا: ما جاء في ذكر العصا في مقام لقاء موسى بفرعون.

وردت مادة لقي في سياق الحديث عن عصا موسى في مقام لقائه بفرعون، لدعوته للإيمان وإخراج بني إسرائيل، وعرض ما جاء به من معجزات في موضعين اثنين من القرآن الكريم:

الأول: قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ الأعراف: ١٠٤ ــ ١٠٨.

---

(١) حدائق الروح والريحان: ٣٨٧/٢٠.

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ). تحقيق : عبد القادر أحمد عطا (دار إحياء التراث العربي – بيروت): ٦/ ٢٧٥.

الثـــاني : قولــه تعــالى : ﴿ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ الشعراء: ٣٠ – ٣٣.

جاء الحديث عن العصا واليد في هذين الموضعين في معرض اللقاء الأول بين موسى (عليه السلام) وفرعون، بعد تكليفه من الله بما كلّفه به، وبعد أن أدخل الإيناس على قلبه بتلك التجربة العملية التي أجراها له في الوادي المقدّس طُوًى، مما كان له بالغ الأثر في ثباته عند لقاء فرعون.

وجاءت مادة (لقي) في الموضعين تعكس الثبات والاطمئنان الحاصل في قلب موسى (عليه السلام)، وأنه طرح للعصا مصحوب بعلم ويقين بما جاء به، وثقة فيما يفعل، لا شك في أن هذا العلم وتلك الثقة يبثان في قلب صاحبهما طمأنينة وثباتًا، في حين أنه يبث في نفس الخصم نوعًا من الرهبة والمهابة، التي قد تخرجه عما أعده سلفًا للمواجهة، وهذا ما حصل حين سجد السحرة وانقادوا لموسى (عليه السلام).

وكان من المناسب لإظهار تلك الرهبة في قلوب الحاضرين أن عبر عن الحية التي جرى ذكرها في المقام السابق بالثعبان في هذا المقام، والحية: هي الحنش، صغيرا أم كبيرا ، ذكرا أم أنثى، والثعبان : الحية الضخم الطويل، الذكر خاصة [١].

فكان المناسب لمقام اللطف وإدخال الإيناس أن يعبّر بالحية، وفي مقام بثّ الرعب في قلوب الحاضرين عبّر بالثعبان، وزاد من التفخيم والتهويل أن وصف الثعبان بالمبين، مبالغة في ضخامته ورهبته.

(١) لسان العرب : مادة (حنش) ، ومادة (ثعب)

وعليه فالإلقاء هنا مقصود منه بثّ الرعب في قلوب الحاضرين بما يظهر على موسى (عليه السلام) من هدوء وتؤدة في إظهار ما أكرمه الله به من معجزات .

ثالثًا: ذكر العصا في مقام لقاء موسى بسحرة فرعون.

وردت مادة (لقي) في سياق الحديث عن عصا موسى في مقام لقائه بسحرة فرعون، "في أشهر مبارزة في التاريخ القديم، والتي جرت بين طرفين غير متكافئين: موسى وأخيه (عليهما السلام) في جانب، وسحرة مصر وجمعهم الغفير في جانب آخر(١)، وذلك في ثلاث مواضع :

الأول: قوله تعالى : ﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ الأعراف: ١١٥ - ١٢٢

الثاني: ﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ ﴾ طه: ٦٥ - ٦٩

الثالث: ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ الشعراء: ٤٣ – ٤٥

(١) الوسيط للزحيلي : د/ وهبة بن مصطفى الزحيلي (دار الفكر – دمشق. الطبعة : الأولى – ١٤٢٢ هـ) ١٥٣١/٢.

المواضع الثلاث في سياق الحديث عن تلك المساجلة والمناظرة التي وقعت بين موسى وسحرة فرعون، والتي عرضوا فيها أن يبدي موسى (عليه السلام) ما عنده أولا، فقالوا: ﴿إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ﴾، كما في الأعراف، و﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ﴾ كما في طه، وهذا العرض من السحرة يدل على حسن أدب راعوه معه ـ كما ذكر الزمخشري (رحمه الله) ـ[1]، وفيه ـ أيضا ـ مزيد ثقة منهم بصنعتهم، فقالوا في الأعراف: ﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ﴾ " فجاءوا في جانبهم بكلام يسترهب موسى ويهول شأنهم في نفسه، إذ اعتنوا بما يدل على ذواتهم بزيادة تقرير في نفس السامع المعبر عنها في حكاية كلامهم بتأكيد الضمير في قوله: ﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ﴾[2]، والنصّ على الأولية في سورة (طه) في قولهم: ﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ﴾ يعني أن التخيير هنا مسلط على الأولية في الإلقاء، وليس لاكتفاء أحد الطرفين دون الآخر، على حين لم يظهر هذا التخيير في الشعراء؛ "لأنه الغاية التي انتهى إليها بعد المحاورة مع السحرة" [3].

وقوله: ﴿أَلۡقُواْ﴾ في الأعراف، وفي (طه): ﴿قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْ﴾، وفي الشعراء: ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلۡقُواْ ..﴾ كله على الاستئناف البياني؛ إذ وقع جوابًا لما يثيره الكلام السابق من تساؤلات وتطلعات للوقوف على ما قاله موسى (عليه السلام) .

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري (دار الكتاب العربي ـ بيروت . ط : الثالثة . ١٤٠٧هـ): ١٤٠/٢.

(٢) التحرير والتنوير: ٤٧/٩.

(٣) تفسير الشعراوي – الخواطر : محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ) (مطابع أخبار اليوم ـ ١٩٩٧م) .١٠٥٦٧/١٧ .

وهذا من باب مقابلة أدب بأدب، على اعتبار أن تقديمهم له كان من حسن أدبهم معه، أو على سبيل عدم الاعتداء بصنيعهم، إن كان تقديمهم له في التخيير كان من باب الثقة منهم .

وقد زد الإضراب بـ (بل) في (طه) ـ بما يعكسه هذا الحرف من ثبات واستقرار ـ من تبديل مقصدهم الذي راموا إليه من إلقاء الرهبة في نفس موسى (عليه السلام)، فأراد أن يرد عليهم ذلك المقصد ببث الرهبة والروع في قلوبهم.

وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ ﴾ معطوف جملة مقدرة، والتقدير: فألقوا حبالهم ....، وقد صرّح بذلك المحذوف في سورة الشعراء: ﴿ فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾، والحذف هنا يعكس سرعتهم في إلقاء أدوات وآلات سحرهم، بعد أن ردّ إليهم موسى (عليه السلام) أمر الإلقاء؛ تمهيدًا لإبطال صنيعهم، ومحق كيدهم.

وقوله: ﴿ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ جواب (لمّا)، يكشف عن شدة التأثير الظاهريّ لعملهم؛ لذا كان قوله ﴿ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ ﴾ بمثابة الاحتراس عن توهّم أن يكون لأعمالهم أثرُ حقيقي على طبائع الأشياء، وإنما هي من باب التخييل.

وقد سرى هذا التأثر إلى نفس موسى (عليه السلام) حين ﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾، كما جاء في (طه) والضمير في (أنها) يعود إلى تلك الحبائل والعصي التي ورد التصريح بها في قوله: ﴿ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾، و(إذا) هنا، هي أخت إذا في قوله: ﴿ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾ طه: ٢٠. والتي تشير إلى أمر قد فاجأ النفس لم تكن تترقبه، مما يدل على شدّة تلك المبارزة التي لم تعرف الدنيا مبارزة مثلها.

و(من) في قوله: ﴿مِن سِحْرِهِمْ ﴾) للتعليل[١]، كما في قوله: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ ﴾ نوح: ٢٥، أي: بسبب سحرهم، وقالوا: "كان ذلك من أثر عقاقير أشربوها تلك الحبال، وأخشاب العصي، فإذا لاقت شعاع الشمس اضطربت تلك العقاقير، فتحركت الحبال والعصي"[٢]، وهو السحر العظيم في قوله: ﴿وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾، ووصف السحر بالعظيم يكشف عن احتشاد هؤلاء السحرة في حبك سحرهم، وجمعهم له كل وسائل الإبهار والقهر، الأمر الذي أثار الخوف في نفس موسى (عليه السلام)، وأشار إليه قوله تعالى : ﴿ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ ﴾ طه: ٦٧ ، وهذا يعني ـ أيضا ـ أن الخوف لم يتجاوز حدود النفس، ولم تظهر آثاره على ملامحه (عليه السلام)[٣]، بل ظل قابعًا بين جوانح نفسه، تعالجه خواطره.

وقوله : ﴿ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ﴾ واقعة في خبر جواب لما، معطوفة على جملة سحروا، أي: ﴿ فلما ألقوا سحروا ... وأوحينا﴾[٤].

ولا يخفى ما في قوله: ﴿أوحينا﴾ من إبهام وخفاء يدفع النفس ويؤزها إلى معرفة ما أوحى الله به إلى نبيه موسى (عليه السلام)، من أمر عظيم يكشف ضمير المتكلم المعظم نفسه (نا) عن شيء من عظمة هذا الوحي، وفخامته وهوله، مما يتناسب مع هول الموقف، فإذا جاء قوله : ﴿ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ صادف نفسا

(١) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: لابن هشام الأنصاري. تحقيق: د/ عبد اللطيف محمد الخطيب. (الكويت . المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب . الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م) جـ٤/صـ١٤٤.

(٢) التحرير والتنوير: ٢٥٩/١٦.

(٣) السابق : الصفحة ذاتها.

(٤) السابق: ٤٩/٩.

مهيئة فتمكن منها فضل تمكن، وذلك فيما يراد تقريره وتأكيده من أخبار ومعان وأحكام، ولا يخفى ما في الإيضاح بعد الإبهام من توضيح للمعنى وتقرير له، لا يكون إذا جاء المعنى خاليا من ذلك " فجملةُ الأمر أنه ليس إعلامُك الشيءَ بغتةً غفلًا، مثْلَ إعلامِك له بعْدَ التنبيهِ عليه والتقدمةِ له، لأنَّ ذلك يَجْري مَجْرى تكريرِ الإعلام في التأكيد والإحكام" كما قال علماؤنا رضوان الله عليهم(١).

ومادة لقي في قوله: ﴿ أَلْقِ عَصَاكَ ﴾ تكشف عن شدة التهيؤ والحذر الشديد في ذلك الطرح؛ لأنه سيحصل منه ما يعظم ويهول، وهو المعنى المقصود في السياقات كلها، سواء قصد به طرح الأعمال على الأرض حقيقة، أو إظهار حجج كل فريق، فوضع الإلقاء موضع الإبداء أو الإظهار؛ لما فيه من كشف للحجة وترسيخ لها في وجه الفريق الآخر، كل ذلك مصحوب بما يفخم ويهول ويعظم.

وقد كنّى عن العصا في سورة (طه) بما في اليمين، مناسبة لما ورد في مطلع السورة من قوله تعالى : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾ طه: ١٧، وبهذا تتلاءم أجزاء السورة، ويأخذ بعضها بحجز بعض.

والعطف بـ (الفاء) في قوله ﴿ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ ﴾ يكشف عن سرعة تلقفها لما صنعوا، وإذا هنا ترسم هول المفاجأة الحاصلة في نفوس هؤلاء السحرة ومن حشر معهم من الناس ضحى، حيث رأوا ما لم يجر لهم ببال .

والتلقف: مبالغة في لقف، ومعناه : سرعة الأخذ لما يلقى باليد، والمقصود به هنا الابتلاع(٢)، وكأن ما ألقوه من حبال وعصي قد ألقي لها إلقاء، وها هي

(١) دلائل الإعجاز . أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني . تحقيق : محمود محمد شاكر (مكتبة الخانجي ـ القاهرة . ط : الخامسة .١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م) صـ١٣٢.

(٢) لسان العرب : مادة (لقف)

تبتلعه، ابتلاعا حقيقيًا، وفي الآية حذف دلّ عليه السياق، والأصل: وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فألقاها فانقلبت ثعبانًا مبينًا، فإذا هي تلقف ما يأفكون. حذفت جملة فألقاها، إشارة إلى مسارعة موسى في تنفيذ ما أوحى الله به إليه، ورغبة في إبطال سحرهم، وحذفت جملة فانقلبت ثعبانًا؛ لدلالة التلقف عليه؛ " لأنه من شأن الحيوان، والعصا إذا دبت فيها الحياة صارت ثعبانا بدون تبديل شكل"(١).

الأصل: تتلقف، حذفت التاء إشارة إلى سرعة تلقفها وابتلاعها، أما المضارع في (تلقف) فيعمل على استحضار الصورة في أذهان الحاضرين، خاصة أصحاب النبي (ﷺ) الذين واجهوا أول دعوتهم بطش قريش وطغيانهم، فكانوا أشبه ما يكون مع قومهم بحال موسى مع هؤلاء السحرة، وهنا تحمل البشارة إليهم بأن الحق الذي معهم سيمحق باطل قريش وأذنابها.

وقد كشف اسم الموصول في قول: ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ عن شدة ذلك الإفك، وقوة تأثيره في أعين الناظرين، وقد سبقت الإشارة إلى شيء من ذلك، وعبر عن أعمالهم وسحرهم بالإفك في الأعراف والشعراء، وعبر عنه في (طه) بالصنعة، في قوله: ﴿تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ طه: ٦٩، والإفك: هو الكذب والبهتان، وصرف الشيء عن حقيقته وقلبه، وهو هنا ما يؤول إليه صنيعهم، فسمى عملهم بالإفك باعتبار ما يؤول إليه، وسماه صنعة في (طه) باعتبار ما هو عليه، إضافة إلى ما توحيه كلمة الصنعة من الجودة والإتقان وشدة الحذق .

(١) التحرير والتنوير: ٤٩/٩.

ولا يخفى ما في المضارع في قوله ﴿يأفكون﴾ من دلالة على استمرار سحرهم وبغيهم وضلالهم في كل زمان، فقد ذهب الفرعون، وذهب ملكه، وبقي السحرة وأحفادهم ، يسحرون أعين الناس ويسترهبونهم.

المهم أن مادة (لقي) هنا جاءت تعكس احتشاد كل طرف من طرفي المواجهة في تقديم ما يحقق له الصدارة والغلبة على منافسه، وقد تكفل الله بأمر نبيه موسى (عليه السلام)، فبث الطمأنينة في نفسه وبشره بالغلبة بقوله: ﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ ﴾ طه: ٦٨.

وقوله تعالى: ﴿ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ متفرع عن جملة ﴿ فإذا هي تلقف﴾؛ لأنه من جملة ما ترتب على ثبوت الحق الذي جاء به موسى (عليه السلام)، وبطلان ما كانوا يعملون من السحر وتلك التمويهات التي سحروا بها أعين الناس واسترهبوهم، والتعبير عن ثبوت الحق وظهوره بالوقوع فيه مناسبة تامة للإلقاء الذي شاع ذكره في الكلام السابق واللاحق، وهو استعارة شبه فيها ظهور الحق وثباته بالشيء الساقط على الأرض؛ دليلًا على تمكنه ورسوخه، وشدة ظهوره وثباته، فهو تجسيم للحق من جهة، وتأكيد على تمكنه في أنفس الحاضرين من جهة الأخرى، فها نحن الآن نرى الحق صورة مجسمة أمام أعيننا تقع على الأرض وقوعا ثابتًا راسخًا متمكنًا، يسمع صداه من كان حاضرًا تلك المشاهد، فسمى ظهور الحق وقوعًا؛ لقوة ظهوره وشدة تمكنه، " ولأن ظهوره كان بتأييد إلهي فشبه بالشيء النازل من علو"(١)

وقوله: ﴿ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ البطلان هو ذهاب الشيء ضياعًا وخسرًا(٢)، وجيء به في مقابل الحق؛ ليريك الصورتين المتناقضتين في حال

(١) التحرير والتنوير: ٩/٥٠.

(٢) لسان العرب : مادة (بطل) .

واحد، صورة الحق الذي ثبت ورسخ، وصورة الباطل الذي ذهب وضاع، والأشياء إنما يظهر حسنها بأضدادها.

وقد عبر عن سحرهم بما كانوا يعملون، فسمي عملا، وجيء به اسم موصول (ما)، في إشارة إلى بلوغ هذا العمل الغاية في الإتقان، وأنهم قد تمرسوا عليه، إلى الحد الذي وصفه ربنا بأنه سحر عظيم، وأُلقى الروع في قلب موسى (عليه السلام) بسببه.

وقوله: ﴿ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ مجازاة لهم بخلاف قصدهم، حين أرادوا أن يكونوا هم غالبين في قولهم: ﴿إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ ﴾، ولا يخفى ما في صيغة البناء لما لم يسم فاعله في قوله (غلبوا) من شدة وقع تلك الغلبة عليهم، وأنها جاءتهم من جهة لا يقدر قدرها ولا يحاط الوصف بها، والضمير في (غلبوا وانقلبوا) يعم جميع الحاضرين من السحرة وفرعون والملأ، والإشارة إلى مكان غلبهم بقوله (هنالك) زيادة في التنكيل بهم؛ حيث أتتهم الهزيمة من حيث أرادوا الغلبة، والمقصود بالانقلاب الرجوع من سعيهم دون تحقيق آمالهم، فناسب ذلك أن يعبر عنه بالانقلاب، والقلب: تحويل الشيء عن جهته[١]، والغالب فيه أن يكون من الحال المعتادة إلى حال غريبة، أو حال أدون من الحال التي عليها، فناسب أن يذكر بعد الغلبة؛ لأنه أدخل في الفصاحة . كما ذكر ابن عاشور (رحمه الله) [٢]، وجملة فغلبوا وما عطفت عليه متفرعة ـ أيضا ـ عن ﴿تلقف ما يأفكون﴾، ومترتبة عليها من غير مهلة، و(صاغرين) حال يزيد من دونية هذ الرجوع، ويكشف عن إذلالهم حين غلبوا في ديارهم، ورجعوا في سعيهم خاسئين.

(١) لسان العبر : مادة (قلب).

(٢) التحرير والتنوير: ٩/٥١.

وأما قوله: ﴿ وَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ فمعناه أنهم خروا لله ساجدين بعد وقوفهم على حقيقة ما جاء به موسى (عليه السلام)، وأنه ليس من قبيل التمويهات والتخييلات التي معهم، وإنما هو شيء على سبيل الحقيقة؛ لأنهم كانوا أهل علم وإتقان لصنعتهم، قال الرازي (رحمه الله): " وهذه الآية من أعظم الدلائل على فضيلة العلم؛ وذلك لأن أولئك الأقوام كانوا عالمين بحقيقة السحر واقفين على منتهاه فلمّا كانوا كذلك ووجدوا معجزة موسى (عليه السلام) خارجة عن حدّ السحر علموا أنه من المعجزات الإلهية لا من جنس التمويهات البشرية، ولو أنهم ما كانوا كاملين في علم السحر لما قدروا على ذلك الاستدلال؛ لأنهم كانوا يقولون: لعله أكمل منا في علم السحر فقدر على ما عجزنا عنه فثبت أنهم كانوا كاملين في علم السحر. فلأجل كمالهم في ذلك العلم انتقلوا من الكفر إلى الإيمان فإذا كان حال علم السحر كذلك فما ظنك بكمال حال الإنسان في علم التوحيد"[1]، فالقوم قد عرفوا أن فرقًا بين فعلهم وفعل موسى (عليه السلام)، وأن ما يخيل للناس لا يخيل لهم، وأن العصا حين تحولت إلى ثعبان صارت ثعبانًا على جهة الحقيقة، وليس تخييلًا ولا تمويهًا، فكانوا أسرع إلى الإيمان والتسليم.

وقد عبر بالإلقاء لشدة خرورهم، وكأنهم قد ألقاهم ملق[2]، ولإنه سجود مصحوب بمعاني التعظيم والتفخيم لما رأوه من موسى (عليه السلام)، وبناؤه على ما لم يسم فاعله؛ إشارة إلى تلك القوة الخفية التي تسللت إلى قلوبهم وخواطرهم، فدفعتهم دفعًا إلى السجود، وفيه مناسبة لمادة (لقي) التي شاع ورودها في السياق

(١) مفاتيح الغيب: أو التفسير الكبير . أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن الرازي الملقب بفخر الدين الرازي . (دار إحياء التراث العربي – بيروت . ط : الثالثة – ١٤٢٠ هـ) ٣٧٧/١٤.

(٢) الكشاف: ١٤١/٢.

كله، من بداية قولهم﴿ قَالُوٓاْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ الأعراف: ١١٥. إلى قوله : ﴿ وَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ الأعراف: ١٢٠ ، قد سلم فيه كل إلقاء إلى ما بعده حتى وصل إلى أن خروا لله ساجدين، وقد نقل البقاعي رحمه الله عن الأصبهاني قوله: " سبحان الله ! ما أعظم شأنهم!، ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود، ثم ألقوا رؤوسهم بعد ساعة للشكر والسجود، فما أعظم الفرق بين الإلقاءين"(١).

وجاء في سورة الأعراف والشعراء ﴿ساجدين﴾ وفي طه ﴿سُجَّدًا﴾، وسُجّدا: جمع ساجد ـ أيضا ـ، وفيه مبالغة واحتشاد ليس في ساجدين، ولكل مقامه الذي يقتضيه، وباعثه الذي يستدعيه، فلما كان المقام في (طه) لرفع المشقة عن المكلفين بالبلاغ عن الله، ووعد لهم بالنصر على أعدائهم، وإذلال هؤلاء الأعداء، ناسب ذلك أن يبالغ في وصف السجود فقال: سجّدا، مبالغة في إظهار الانقياد لله وإعلاء كلمته.

أما سورة الأعراف فالقصة فيها مسوقة لبيان فسق الأكثر(٢)، في قوله تعالى:﴿ وَمَا وَجَدۡنَا لِأَكۡثَرِهِم مِّنۡ عَهۡدٖۖ وَإِن وَجَدۡنَآ أَكۡثَرَهُمۡ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ الأعراف: ١٠٢، وفي المقابل تُعلي من شأن أهل الإيمان، وتخبر أن الوصول إلى الطريق المستقيم أيسر ما يكون، المهم أن تُزال الفوارق، ويخلى بين المرء وفطرته، فلما خلى السحرة بينهم وبين فطرتهم لم يتمالكوا أنفسهم إلا أن خروا لله ساجدين في يسر وسهولة، استجابة منهم لنداء فطرتهم السوية .

وقوله: ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ ﴾ الأعراف: ١٢١، هو بدل اشتمال من ساجدين؛ لأنه مظهر من مظاهر الإيمان والإذعان لله، ومن ثم فصلت

(١) نظم الدرر: ٣٠٩/١٢.
(٢) السابق: ٣٠/٨.

الجملة عما قبلها؛ لوقوعها منها موقع الشيء من نفسه، فالبدل والمبدل كالشيء الواحد، وفي ذلك من التوكيد والتقرير ما فيه[1]، والتصريح برب العاملين، مناسب لما جاء على لسان موسى (عليه السلام) في قوله لفرعون: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ الأعراف: ١٠٤، وقوله : ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ الشعراء: ١٦، في حين خلت سورة طه من ذلك ففيها : ﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ ﴾ طه: ٧٠.

وجملة ﴿ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ الأعراف: ١٢٢، والشعراء ٤٨. بدل اشتمال من ﴿رب العالمين﴾، يرتقي به التوكيد خطوة بعد خطوة، في إثبات إيمانهم بالله (عز وجل) وإعلان كفرهم بفرعون، في صورة مقرر أكيدة، حيث كان يستأثر فرعون بألقاب الألوهية، التي يستعبد به قومه، فلما سجدوا ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾، حتى لا يتوهم أن ذلك السجود لفرعون، وازدادوا في إثبات ذلك بقولهم: ﴿ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾؛ لئلا يتوهم المبالغة في وصف فرعون بأنه رب جميع العالمين، كل ذلك اعتداد واضح من تلك الثلة التي آمنت بربها، بعد أن جاءت محاربةً لنبيه، ومبالغة في إظهار براءتهم من فرعون ودينه.

(١) ينظر : دلائل الإعجاز : صـ٢٢٧ ، والإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع) : الخطيب القزويني . جلال الدين محمد بن عبد الرحمن . تحقيق : إبراهيم شمس الدين (دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان . ط: الأولى : ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م) صـ١٢٢، ودلالات التراكيب . أ.د/محمد أبو موسى . (مكتبة وهبة ـ القاهرة . ط: الرابعة. ١٤٢٩هـ . ٢٠٠٨م) صـ٣٠٠ ، وعلم المعاني . دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني . أ.د/ بسيوني فيود . (مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ـ القاهرة . ط. الثالثة : ١٤٢٩هـ ـ ٢٠١٠م) صـ٤٥٠ .

أما تقديم موسى على هارون في الأعراف والشعراء، فعلى الأصل، من تفضيل موسى بالوحي، وبالكلام، ورسالة هارون إنما كانت مؤازرة لموسى (عليه السلام)، أما تقديم هارون على موسى في سورة (طه) في قوله تعالى: ﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ ﴾ طه: ٧٠. فهذا هو اللافت، والذي يجب أن يبحث له عن علة، ولا يمكن أن نحصر التقديم على أنه في رعاية الفاصلة، وإن كان لذلك أهميته في التأثير النفسي في المتلقي، من خلال التتابع الإيقاعي على نسق واحد، ولكن ذلك لا يعدو صورة لفظية لا تتصل اتصالا جوهريا بالمعنى الذي هو رأس الأمر، والغرض الأسمى، ولا يخفى ـ أيضا ـ ما في هذا العدول من إمتاع المتلقي وجذب انتباهه، من خلال تلك التحولات التي لا يتوقعها في نسق التعبير، وفيما تشعه كل صورة من صور تلك التحولات في موقعها من السياق من إيحاءات ودلالات خاصة(١).

ومما يمكن القول فيه من سر تقديم هارون على موسى في تلك الآية ، هو ما يستلزمه سياق السورة من رفع المشقة عن الرسل، وإظهار المؤازرة التي طلبها موسى (عليه السلام) ومنّ بها عليه رب العزة (سبحانه وتعالى)، تخفيفًا عنه، فكان الأليق بالمقام أن يقدم ذكر هارون؛ للتنويه بشأن تلك المؤازرة، ويمكن القول بأن " السحرة قد احتشدوا في تلك السورة وجمعوا كيدهم وجمعوا أنفسهم، وأسروا النجوى بما لم يرد له ذكر في سور أخرى، فأعلنوا إيمانهم، وقدموا التابع الذي هو هارون على المتبوع، والأصل الذي هو موسى (عليه السلام) إعلانا منهم عن صدق الإيمان؛ لأن من أعلن تمسكه بالفرع فهو بالصل أكثر تمسكًا"(٢).

ومما ورد من مادة (لقي) في سياق حديث القرآن عن موسى (عليه السلام) وسحرة فرعون، دون الإشارة إلى أمر العصا ، قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي بِكُلِّ

(١) ينظر: استثمار الأسلوب العدولي ف تذوق النص القرآني ، د/ عيد محمد شبايك : مجلة كلية الآداب – جامعة المنوفية – العدد الثامن – يناير – ٢٠٠٤ م. صـ ٤١.

(٢) من حديث يوسف وموسى في الذكر الحكيم : ٤٠١. بتصرف يسير.

سَٰحِرٍ عَلِيمٖ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئۡتُم بِهِ ٱلسِّحۡرُۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ يونس: ٧٩ – ٨١ .

الآيات من سورة يونس (عليه السلام) والتي يدور موضوعها على إثبات أصول التوحيد، وهدم الشرك، وإثبات الرسالة والبعث والجزاء، وما يتعلق بذلك من مقاصد الدين وأصوله، كما في سائر السور المكية [1].

والملاحظ أن الآيات هنا طوي فيها عرض السحرة على موسى (عليه السلام) أن يلقي ما عنده أولًا، أو أن يبدءوا هم بإظهار ما عندهم، كما طوي الحديث عن العصا، ولذلك دوافعه أسبابه التي سنعرض لها بحول الله.

أما مادة لقي هنا فقد وردت في قول موسى للسحرة ﴿ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ ﴾، والذي رتب على مجيء السحرة مباشرة، بما يعكسه من مسارعة إلى ذكر النتائج والتخفف من التعرض للمقدمات، ونرى مادة (لقي) . أيضا ـ في حكاية الله عما كان من موسى بعد ذلك بقوله : ﴿ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئۡتُم بِهِ ٱلسِّحۡرُۖ ...﴾.

وقد جاءت تلك المادة في سياق مصحوب بالترقب لما يلقيه هؤلاء السحرة، ويكشف عما كان يدور في خلده (عليه السلام) من هول الموقف، والذي كشف فيه اسم الموصول في قوله ﴿مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ ﴾ عن شيء من فخامة وهول عمل السحرة، والذي وصف بأنه سحر عظيم، وهو ـ أيضا ـ ما يكشف عنه التعريف بـ (أل) في قوله : ﴿مَا جِئۡتُم بِهِ ٱلسِّحۡرُۖ ﴾ أي السحر البالغ في الكمال ما يستحق به أن يوصف بالسحر، وينفى ذلك الوصف عما عداه .

وقوله : ﴿ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ ...﴾ العطف فيه على مقدر يكشف عنه السياق، ويستدل عليه بما ورد في مقام آخر، ﴿ فَأَلۡقَوۡاْ حِبَالَهُمۡ وَعِصِيَّهُمۡ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ الشعراء: ٤٤، كل ذلك الطرح مسارعة إلى ذكر النتائج وتسليط الضوء على اللحظات الأخيرة في القصة والتعرض لخواتيمها، "فالهدف

(١) حدائق الروح والريحان: ١٢٦/١٢.

هو إبراز التحدي والاستعانة بالله وحده، ونجاة الرسول ومن معه وهم قلّة، وهلاك المكذبين له وهم كثرة وقوة؛ لذلك يختصر السياق هنا تفصيلات القصة إلى حلقة واحدة، ويختصر تفصيلات الحلقة الواحدة إلى نتائجها الأخيرة"[١] .

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓ﴾ جملة خبرية مؤكدة بـ (إن) توكيدًا من شانه إزالة الشبهة أن يكون لسحرهم أثر؛ لأنه يواجه بهذا التوكيد قلوبًا قد هالها أمر ذلك السحر، وعيونًا قد خيل إليها من سحرهم أن عصيهم وحبالهم تسعى، فجاء ذلك التوكيد ليذهب ما في النفوس من إمكان ذلك السحر وبقائه.

والمضارع في (سيبطله) لدوام ذلك البطلان في كل زمان ومكان، وبيان أن الله لن يتخلى عن أوليائه، وأنه ناصر للحق وإن طغا الباطل وبغى فإنه حتما إلى زوال.

ثم جاء هذا التذييل والذي يمثل حكمًا عامًا، تستريح له نفس كل مظلوم وينقطع به أمل كل طاغ وفاسد، في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾، وقد سرت تلك الجملة في الناس وكتب لها الشيوع والذيوع، حتى لا يُظن في فاسد أو مفسد في يوم من الأيام أنه سينتج عملًا صالحًا، أو يأتي خير من قبله، مهما ادعى الصلاح والإصلاح، وقد جاءت تلك الجملة في قالب الخبر المؤكد بـ (إن) واسمية الجملة، حتى لا ينخدع الناس ببهرج المناظر التي تجذب عيون الأغرار، فيظنونها تقدمًا ونهضة، ولحقيقة أنها أسباب الانتكاسات والغرق في الديون.

والمفسد هو الذي التصق به وصف الفساد ولا ينفك عنه، ومن كان هذا شأنه فلا يتصور منه صلاح، وأن يُهدَى لخير، وتلك حكمة الله في خلقه، حتى لا يلتبس على الناس أمر الصلاح والفساد، فطهّر ساحة المصلحين من التلبس بالفساد، وضرب على المفسدين فسادً أعمالهم ونفى الصلاح عنها.

****

(١) في ظلال القرآن: ١٨١٠.

المبحث الرابع : مادة لقي في سياق الحديث عن موسى (عليه السلام) والسامريّ.

اختُلف في السامريّ أكان من بني إسرائيل أم من غيرهم ودخل في الإيمان معهم، وقد كان ممن يصنعون العجل لعبادته في أهل مصر، وكان قد رأى أثر فرس جبريل (عليه السلام) حين أغرى فرعونَ باقتحام البحر، فأخذ قبضة من أثره، وانتظر حتى خرج موسى (عليه السلام) لمواعدة ربه؛ لتلقي التوراة، فأمر بني إسرائيل وكانوا ستمائة ألف، ما نجا من عبادة العجل منهم سوى اثنا عشر ألفًا، أمرهم أن يجمعوا ما معهم من الحليّ التي أخذوها من أهل مصر قبل خروجهم، على سبيل العاريّة ولم يردوها لهم، أو التي سلبوها من جند فرعون بعد غرقهم على سبيل الغنيمة وكانت محرمة عليهم؛ لذلك سمّوها بالأوزار، فأمرهم أن يضعوا تلك الحلي في النار ووضع ما معه من تراب عليها؛ ظنا منه أنه سيصنع لهم عجلًا تدبّ فيه الحياة ـ كما أوحى إليه بذلك شيطانه ـ ولكنه خرج تمثالًا لعجل أجوف يخور فيه الهواء فيصدر خوارًا ظنّه القومُ صوتًا حقيقة فسجدوا له، وقال لهم هذا إلهكم وإله موسى[1] .

وقد وردت مادة لقي في سياق حديث القرآن عن موسى والسامري في موضع واحد في القرآن الكريم وهو قوله تعالى : ﴿ قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ٨٧ ﴾ طه: ٨٧ .

قولهم ﴿فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴾ عبر فيه عن وضع الزينة مرة بالقذف ومرة بالإلقاء، وجاء بالقذف في جانب القوم إشارة إلى قوة رغبتهم في الخلاص

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١٨٧/١٦، ومفاتيح الغيب:٢٢/ ٨٩. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي . تحقيق : علي عبد الباري عطية (دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان . ط: ١٤١٥هـ) ٨/ ٥٥٤.

من تلك الزينة التي أخذوها من أهل مصر وكان محرمًا عليهم أخذُها، فكان وضعهم لها في النار وضعًا متلبسًا بالرغبة الشديدة في الخلاص منها، ومجانبتها على الوجه الأكمل؛ لذا عبر بالقذف بما فيه من دلالة على الرمي بقوة، والبعد الشديد(١).

أما وضع السامريّ لما معه فكان وضعًا متلبسًا بحذر وترقب شديدين، مصحوب بتؤدة وهوادة، يعرف من خلالها أين يضع الشيء الذي يلقيه، كما كان مصحوبًا بحفاوة شديدة بما معه، وعناية بما في يده، فهو لا يضعه وضع الكاره له، والمتخلص منه، وإنما يلقيه إلقاء المترفق المحب؛ لذا عبروا بالإلقاء في جانبه فقالوا: ﴿فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ﴾، أي فعل فعلا مثل فعلنا ، ولكن ليس هو هو، بما يكشف عن اختلاف المقصود بين الجهتين، جهة القوم الذين قذفوا حليّهم رغبة في الخلاص منها، وجهة السامريّ الذي ألقى ما معه رغبة في صنع معبود جديد لبني إسرائيل يفتنهم ويضلهم به.

وقد قدم لتلك الآية بما يكشف على حالة الغضب الشديدة التي اعترت سيدنا موسى (عليه السلام) على قومه، وذلك في قوله تعالى : ﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ ﴾ طـه: ٨٦ ، حين خرج من بين ظهرانيهم في عدة وعده الله إيّاها، لتلقّي التوراة نورًا وهدىً، فترك القوم واستخلف فيهم أخاه هارون (عليه السلام)، فما كان منهم إلا أنّهم استجابوا لداعي الضلال فيهم، وهو السامريّ، على اعتبار أنه سبب الفتنة ومدبرها، وذلك في قراءة (وأضلَّهم

(١) ينظر: مقامات التعبير بمادتي القذف والرمي في النظم القرآني . فروق دلالية وأسرار بلاغية . (بحث منشور في المؤتمر الدولي الثاني لكلية اللغة العربية بالمنوفية ، وموضوعه تراثنا العربي والفكر الحداثي . ١٤٣٩هـ ـ ٢٠١٨م) ٢٢٣ .

السامري) بتشديد اللام وفتحها، وفي قراءة بتشديد اللام وضمهما على صيغة التفضيل أي أشدُّهم ضلالاً لأنه ضالٌّ ومُضلٌّ(١).

وقوله: ﴿غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ﴾ حال من الضمير في (رجع) يعكس تبدل حال الكليم (عليه السلام) الذي كان عليه قبل اطلاعه على أمر الفتنة، من السرور والحبور بما أوحى الله إليه، وكيف أنها تحولت إلى غضب عارم على بني إسرائيل وتأسف وحزن شديدين من شناعة فعلهم.

وجملة ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ﴾ جملة مستأنفة تجيب عن سؤال يثيره الكلام السابق، يكشف عن الرغبة الشديدة في معرفة ما قاله موسى (عليه السلام) لقومه عند رجوعه إليهم وهم على تلك الحال، وندائه على قومه بـ (يا) يشير إلى البون الشاسع الذي حلّ بينه وبينهم، وبين ما كانوا عليه قبل مفارقته لهم، وبين ما صاروا إليه بعد عودته، وفي النداء عليهم بصفة القوم تقريع وتبكيت لاذع لهم؛ لأنهم قومه، أعرف الناس به، وكان يفترض فيهم أن يكونوا أولى الناس باتباعه.

والاستفهام في قوله : ﴿أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ﴾ استفهام تقرير بموعود الله لهم، يتوصل به إلى إنكار المخالفة عليهم، والمقصود بالوعد هنا الوعد بإعطاء التوراة فيها هدى ونور(٢)، وإيثار التعبير بلفظ الرب مضافًا إلى ضميرهم؛ لاستحضار معاني الربوبية والتكفل والحفظ والرعاية التي منّ الله بها على بني إسرائيل، حين أنجاهم من عدوهم، وأنزل عليهم المنّ السلوى، فكان مقتضى ذلك أن يثبتوا على إيمانهم بربهم، وأن ينتظروا عودة نبيه؛ لتحقيق موعوده لهم، وتنكير الوعد ووصفه

(١) إرشاد العقل السليم: ٦/٣٤.

(٢) حدائق الروح والريحان: ١١٧/ ٣٧٥.

بالحسن مبالغة في تعظيمه وتفخيمه؛ لأنه وعد بإنزال ما فيه صلاح دينهم ودنياهم، ولا أحد أوفى بعهده من الله .

والاستفهام في قوله: ﴿ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ ﴾ متفرع عن الاستفهام السابق، والهمزة فيه مسلّطة على محذوف يعين على تقديره السياق، ويمكن تقديره بـ أنسيتم ذلك، فطال عليكم العهد... ، ووراء ذلك إنكار لهم أن يعاملوا موعود الله لهم معاملة ما يُنسى؛ لأنه لم يبعد حتى يكون لكم اليأس من الوفاء فتكفروا وتكذبوا من بلغكم الوعد(١).

والعهد: مصدر، أي عهد الله لهم على الطاعة والعمل بالشريعة، ويجوز أن يكون من إطلاق المصدررعلى المفعول، والمقصود المعهود لكم به، أي: طال المعهود لكم، وبعد زمنه، حتى نسيتموه وعملتم بخلافه(٢).

وتعريف العهد بـ (أل) تعريف كمال، والغرض منه التشنيع عليهم حين عاملوه معاملة المنسيّ له؛ لأنه أجلّ من أن ينسى، ولو تطاول به الزمن.

و(أم) في قوله : ﴿ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي ﴾ مبالغة في الإنكار وارتقاء به؛ ليناسب فعلهم الذي تجاوزوا به حدّ المعقول؛ حيث لا يمكن حصول الأول؛ نظرًا لعدم طول العهد فلا نسيان، كما يستبعد أنهم فعلوا ذلك طلبًا لغضب الله عليهم، وإنما نزل الكلام منزلته مع من يعمد إلى حلول غضب الله بارتكاب معاصيه عن عمد وتجرؤ، بعد بيان عقاب الله، وذلك على سبيل الاستعارة التمثيلية ـ كما قال ابن عاشور (رحمه الله)(٣)، فشبهت حالة مخالفتهم أوامر الله عمدًا منهم وقصدًا، بحال من يسعى لاستجلاب غضب الله

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٨٢/١٦.
(٢) ينظر: السابق:٢٨٣/١٦.
(٣) التحرير والتنوير: ٢٨٣/١٦.

عليه، ثم زاد التشنيع عليهم بإظهار لفظ الربّ مضافة إلى ضميرهم مرة ثانية؛ إظهارًا لسوء طويتهم وخبث طبعهم، حيث قابلوا رعاية الله لهم بإصرارهم على معصيته.

وقوله: ﴿ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى﴾ متفرع عن الاستفهام الإنكاري في قوله: ﴿أَمْ أَرَدتُّمْ﴾ أي فعلتم ذلك من إخلاف الوعد الذي وعدكم الله إياه وبلغتكم به لإرادتكم أن يحلّ عليكم غضب ربكم، وإضافة الموعد إليه؛ لأنه الواسطة بين الله وقومه، وهذا ـ أيضا ـ من باب التشنيع عليهم حيث كان الأولى بهم أن يتبعوه لا أن يخالفوا أمره.

وقوله: ﴿ قَالُواْ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ ﴾ طه: ٨٧ . استئناف بيان على سبيل المحاورة، جوابًا عن كلام موسى (عليه السلام) السابق، والذين قالوا هم بعض القوم، من كبرائهم وأهل الصلاح فيهم، قالوه على سبيل الاعتذار لمن وقع منهم [1]، وقد أضافوا الموعد إلى موسى؛ جريًا على ما ذكره وأضاف فيه الموعد لنفسه في قوله (موعدي)، والملك : بفتح الميم وكسرها وضمها المقصود به القدرة والاختيار[2]، وقد زين السامري لهم ذلك، ووسوس لهم الشيطان وتبعه دهماء القوم فغالبوا أهل الصلاح منهم، حتى إن هارون (عليه السلام) تركهم وما أرادوا؛ خشية أن تحدث بين بني إسرائيل فرقة، وانتظر حكم نبي الله موسى (عليه السلام) فيهم.

وقوله: ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ ﴾ طه: ٨٨ ، الضمير (لهم)) يؤكد على أن الذين قالوا لموسى ما أخلفنا موعدك بملكنا هم كبراء القوم وأهل الصلاح فيهم ممن لم تشملهم الفتنة، ثم إن تتابع الفاءات في قولهم: (فقذفناها، فكذلك فأخرج، فقالوا) يدل دلالة قوية على سرعة تتابع الأحداث

(١) التحرير والتنوير: ٢٨٤/١٦.

(٢) نظم الدرر: ٣٢٩/١١٢، وإرشاد العقل السليم: ٣٥/٦.

وشدة وقعها، وبيان الخوف الشديد من أهل الصلاح أن ينزل عقاب الله بهم، فسارعوا بالاعتذار عما فعله سفهاؤهم والدهماء منهم، و(جسدا) بدل من (عجلا) للتأكيد على أنه كان مجرد صورة لا حياة فيها، وتنكيره للتهوين من شأنه في أعين من أعرضوا عن السجود له، ولم ينساقوا في الفتنة.

والضمير في ﴿فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ﴾ يرجع إلى هؤلاء الدهماء، الذين يعلوا صوتهم وقت الفتنة ويتصدرون مشاهدها ويتولون كبرها، وهاهم الآن بعد وقوع الكارثة، ينزوون ويتوارون عن العيون، ثم يتصدر أهل الصلاح للاعتذار عنهم، وإصلاح ما أفسدوه.

وتأمل أصوات هؤلاء الدهماء، وتحفزهم في عصيانهم حين ميّزوا معبودهم الجديد باسم الإشارة أكمل تمييز في قولهم ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ﴾ وكأنه ضالتهم المنشودة وغاية مسعاهم، وكأنهم ما خرجوا إلا لطلبه، وقولهم ﴿إلهكم﴾ فيه حثّ كل واحد منهم لصاحبه ومن له ولاية عليه أن يتمسك بهذا الإله، وبالغوا في ذلك حين جعلوا عجلهم إله موسى الذي يحدثهم عنه، حتى لا يبقى لأحد من بني إسرائيل عذر في عدم عبادته.

والضمير في ﴿نَسِيَ﴾ إما عائد على موسى، فهو من تمام قولهم ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾، والمعنى أن موسى قد نسي أن يطلبه هنا، وذهب لطلبه في مكان آخر، وإما عائد إلى السامريّ، أي قال السامريّ ذلك؛ لأنه نسي ما كان تلقاه من هدى[1]، والأول أقرب إلى احتشادهم في إثبات صدق دعواهم بأن ذلك العجل إله بني إسرائيل.

***

(١) التحرير والتنوير: ٢٨٧/١١٦.

المبحث الخامس: مادة لقي في سياق الحديث عن موسى الألواح.

وردت مادة لقي في سياق تلك المغاضبة التي حصلت لموسى (عليه السلام) إثر عودته من ميقات ربه، وقد أضل السامريّ قومه، وجاءت تلك المادة مضافة إلى الألواح، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ ﴾ الأعراف: ١٥٠ .

" بعد أن ذكر الله ـ تعالى ـ قصة السامري باتخاذ العجل إلهًا لبني إسرائيل، ذكر أثر ذلك ووقعه على موسى، إذ أنه في حال رجعته كان غضبان أسفًا، واشتد أساه وحزنه حين رأى الواقع المؤلم من ضلال قومه وغيّهم، فبادر إلى تعنيف أخيه هارون بسبب عبادة قومه العجل، ولامه على سكوته على قومه" (١).

ولا شك في أنك ترى معي أجواء الغضب بادية في لآية كلها، ينضح به كل حرف وكلمة منها، انعكاسًا لردة فعل الكليم (عليه السلام) حينما رجع إلى قومه، ووقف على ما اجترأوا عليه من عبادة العجل.

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ ﴾ معطوف على جملة ﴿قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى ﴾ باعتباره أثرًا من آثار غضبه وتأسفه على قومه، وقد جاء ذكر الألواح هنا بعد ذكرها مسبقًا في قوله: ﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: د وهبة بن مصطفى الزحيلي (دار الفكر المعاصر – دمشق . الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ) جـ٩/ صـ١٠٠.

وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ الأعراف: ١٤٤ ـ ١٤٥، فكان من المناسب بيان أمر تلك الألواح التي سبقت الإشارة إليها، وكيف كانت ردة فعله (عليه السلام) بعد ما وقف على مخالفة قومه، وكان وقتئذ ممسكًا بألواح التوراة .

وإلقاء الألواح دليل على شدة الغضب؛ لأن المرء لا يقدم على مثل هذا العمل إلا عند حصول الغضب المدهش .كما ذكر الرازي (رحمه الله)[1]، والتعبير بالإلقاء دون القذف أو الرمي؛ لما يناسب تلك الألواح من التعظيم والتفخيم لشأنها، فليس الإلقاء إهانة، أو استخفافا، أو رغبة في التخلص منها ومجانبتها، وإنما وضع مصحوب بإجلال ومهابة، "أما أنه ألقاها بحيث تكسرت فهذا ليس في القرآن وإنه لجراءة عظيمة على كتاب الله ومثله لا يليق بالأنبياء (عليهم السلام)"[2]، وإنما هو وضع محفوف بعناية، لا يخرجه الغضب عما ينبغي لتلك الألواح من حفظ وعناية؛ لأنها شرعة الله، وفيها من كل شيء موعظة وتفصيلا، وغير ذلك مما يمنع من تصور قذفها وانكسارها.

وقد ورد ذكر الإلقاء الواح هنا ـ أيضا ـ مصحوبًا بما يدل على حالة الغضب الشديدة التي اعترت سيدنا موسى (عليه السلام)، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ ﴾ الأعراف: ١٥٠ ، وذلك حينما اطّلع

(١) مفاتيح الغيب: ٣٧٢/١٥.

(٢) السابق : الصفحة ذاتها. ومحاسن التأويل: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ) تحقيق: محمد باسل عيون السود (دار الكتب العلميه – بيروت . الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ) جـ٥/ صـ١٨٧.

على معصية قومه وعكوفهم على عبادة العجل، رغم أنه أخبر بفتنتهم قبل وصوله إليهم بدليل قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ ﴾ طه: ٨٥، فقد جاء متلبسًا بالغضب، والذي كشف عنه الحال في قوله: ﴿ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ﴾ وهي حال من المجيء، وغضبان فعلان من الغضب، مما يدل على شدة موران الغضب واعتماله في نفسه، وهو من هو، كليم الله والمقرب إليه نجيًا، والذي اصطفاه الله لنفسه، واصطنعه على عينه.

وقوله: ﴿قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ﴾ جواب (لما)، و(بئسما) مركب من (بئس) و(ما) والمعنى " بئس خلافة خلفتمونيها خلافتكم"(١)، والخطاب هنا لهارون (عليه السلام) الذي قال له موسى ﴿ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾ كما يشمل الخطاب صالحي القوم ووجهاءهم من بني إسرائيل.

وقوله : ﴿مِنۢ بَعْدِىٓ ﴾من باب التوكيد اللفظي؛ لأن الخلافة لا تكون إلا من بعد، والغرض من ذلك تصوير البون الشاسع بين ما كانوا عليه قبل مغادرة موسى (عليه السلام) وبين ما آلوا إليه، والاستفهام في قوله : ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ﴾ لإنكار فعلتهم، وتأمل جناس الاشتقاق بين العجل في ﴿ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ ﴾ ، و﴿أَعَجِلْتُمْ ﴾، من التعجل والإسراع، وكأن أفعالهم صارت من وادي ما عبدوا، وانقادوا فيها انقياد البهائم.

وأمر الله: إما عهده لهم بإنزال التوراة في المدة المذكورة، والتعجل هنا استبطاء رجوع موسى إليهم، وهو المشار إليه في قوله تعالى : ﴿ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ ﴾، وإما أن يكون المقصود به عقاب الله ووعيده، كقوله تعالى : ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ ﴾ النحل: ١، وقوله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾ هود: ٤٠ K،

(١) الكشاف:٢/ ١٦١.

ويكون تعجّلهم عقاب الله من تنزيل فعلهم مع علمهم بالمخالفة منزلة من يحرص على المؤاخذة بالعقوبة، وهذا ما سبقت الإشارة إليه في قوله تعالى :﴿ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴾.

وقوله : ﴿ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ﴾ معطوف على ﴿ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ ﴾ داخل في جملة آثار الغضب التي تلبس بها موسى (عليه السلام) عند رجوه إلى قومه، والأخذ: التقاط الشيء بحرص[1]، ويستخدم فيما يعظم أمره، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ هود: ١٠٢، وأصله الجمع، ومنه قيل للغدير وخذ وإخذ[2]، والمقصود هنا شدة التعنيف والتوبيخ لهارون من موسى (عليهما السلام)؛ تأديبًا له على تركه لقومه وعدم لحاقه به، فإن ذلك مقتضى الخلافة، فمن لم يستطع إقامة ما استخلف فيه على الوجه الذي ينبغي، عليه أن يرد الأمر إلى من استخلفه.

ولما كان التركيز في سورة طه منصبًّا على بيان شأن وزارة هارون لموسى (عليهما السلام) لرفع المشقة عنه، كان من المناسب تسليط الضوء على موقف هارون، وحجته التي احتج بها على أخيه، حين سأله : ﴿ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ ﴾ طه: ٩٢ – ٩٣، فرد قائلا: ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ ﴾ طه: ٩٤.

(١) أساس البلاغة : جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري : تحقيق : محمد باسل عيون السود (دار الكتب العلمية ـ بيروت . لبنان . ط : الأولى ١٤١٩هـ . ١٩٩٨م)

(٢) الفروق اللغوية : أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري . تحقيق : محمد إبراهيم سليم . (دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع ـ القاهرة . ١٩٩٨م)

أما في سياق سورة الأعراف، والذي كان الضوء فيه مسلطًا أكثر على فعل موسى (عليه السلام)، ومواجهته نقائص بني إسرائيل، حين قالوا: ﴿يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ﴾ ، وحين عبدوا العجل، وموقف موسى من ذلك كله، فغض الطرف عن مقالة هارون: (يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ)، واكتفي بالإشارة إلى فعل موسى (عليه السلام) من الأخذ برأسه .

والنصّ على الأخوة هنا إشارة إلى بلوغ الغضب عند موسى (عليه السلام) الحد الذي كاد أن ينسى معه أواصر القربى بينه وبين أخيه، مما دفع هارون (عليه السلام) إلى إبراز تلك الآصرة في قوله : ﴿ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي ﴾، والجرّ: شدة الجذب(١)، وجملة ﴿يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ﴾ حال من الأخذ؛ لبيان شدة ذلك الأخذ، وأنه أخذ تعنيف وتأديب، والمضارع فيه يصور ذلك المشهد تصويرًا حيًا أمام كل غيور على دين الله، وأمانة الله، وحق رعاية الخلافة فيما استخلف عليه الناس.

وجملة : ﴿قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي ﴾ ، واقعة موقع الجواب عن سؤال يثيره الكلام السابق، وتلبي رغائب النفس في التطلع لمعرفة جواب هارون على موسى (عليهما السلام). و﴿ٱبۡنَ أُمَّ﴾ منادى حذف منه أداة النداء، تلطفًا وترقيقًا، وإزالة لما بينهما من حواجز نفسية أثارها ذلك الغضب، وإيثار ذكر الأم؛ لمزيد استعطاف هارون لموسى (عليهما السلام)، فهي المعادل الموضوعي لمعاني العطف والحنان، وقد عمل الرسم القرآني في صورة (طه) على التأكيد على تلك الرابطة حين التصقت الصفة بالموصوف بحرف النداء في قوله: ﴿يَبۡنَؤُمَّ﴾ فجاء الجميع كلمة واحدة، يدل اتصال حروفها على شدة الآصرة

(١) لسان العرب : مادة (جرر) .

بين موسى وهارون (عليهما السلام) في موقف كادت أن تنقطع فيه كل تلك الأواصر.

وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِى ﴾، خبر مؤكد من شأنه أن يدفع ما في نفس موسى (عليه السلام) من تردد أو شك في أن ما فعله بنو إسرائيل كان عن رضا من هارون أو إقرار منه، وهذا التوكيد ملائم جدًا للمقام، ولما بدا على موسى (عليه السلام) من غضب تجاه أخيه .

والتعريف في ﴿القوم﴾ يعكس مدى تمكنهم منه وتغلبهم عليه بكثرتهم، والألف والسين والتاء في ﴿استضعفوني﴾ تكشف عن قوة استقوائهم عليهم، حين عدّوه وحسبوه ضعيفًا لا يقوى على مواجهتهم، كما يكشف فعل المقاربة في قوله: ﴿وكادوا يقتلونني﴾ عن غدر هؤلاء ومدى تطاولهم على نبيهم، وحرصهم على الخلاص منه إذا جدّ في معارضتهم، وقد كان (عليه السلام) معروفًا بلين جانبه[١]؛ لذا جاراهم وسكت على مخالفتهم، ولم يستطع الخروج من بين ظهرانيهم، بل ظل معهم ساكتا عن أفعالهم بعد معارضته الشديدة لهم، فالفعل (كاد) يدل على أنه عارضهم معارضة شديدة ثم سلم خشية القتل[٢].

والفاء في قوله: ﴿ فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ ﴾ لتفريع ما بعدها على ما قبلها، والجملة تفيض بمعاني الرجاء والاستعطاف والحيرة حين وجد هارون (عليه السلام) نفسه بين تسلط قومه، وشدة غضب أخيه، وهذا الأمر لم نجده في سورة (طه)؛ حيثي إبراز شأن وزارة هارون (عليه السلام)، وكيف شد الله به أزر أخيه، فليس من الملائم للمقام هناك أن يظهر هذا الضعف وتلك الحيرة، وإنما وجدنا موقفًا متزنًا أُوثر من خلاله استبقاء وحدة القوم حتى يرجع إليهم قائدهم، وبدا ذلك في قوله معاتبًا:

(١) الكشاف: ٢/ ١٦١.

(٢) التحرير والتنور: ٩/ ١١٧.

﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ ﴾ طه: ٩٤.

والشماتة فرح العدو ببلية تنزل بمن يعاديه[1]، والتقديم في (بي) يشي بشدة تألمه (عليه السلام) من إيذاء قومه له، وتخوفه من إظهار شماتتهم وسرورهم بتبكيت موسى (عليه السلام) له؛ وهو لم يرض بفعلتهم وكان سكوته إيثارًا للسلامة منهم حين كادوا أن يقتلوه، وتعريف الأعداء بـ (أل) يكشف عن أنهم بلغوا غاية ما تحصل به العداوة بين قوم وأنبيائهم، فهم العدو ولا عدو غيرهم.

وقوله: ﴿ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾، معطوف على النهي السابق، والذي غرضه الاستعطاف والاسترحام، والجعل هنا إما بمعنى الظن والحسبان، والمعنى ولا تحسبني معهم أو سرت في ركابهم، فهو نظير قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ﴾ الزخرف: ١٩، أي ظنوا ذلك، ويجوز أن يكون المعنى ولا تجعلني معهم في العقوبة، حيث أمر بقتل الذين عبدوا العجل، فيكون الجعل على بابه، وإنما قال هارون (عليه السلام) ذلك مخافة أن يتوهم جُهّال بني إسرائيل أن موسى (عليه السلام) غضبان عليه كما أنه غضبان على عبدة العجل[2].

والظالمون هم الذين جاوزوا حد المعقول والمشروع، وبغوا وطغوا، وفسدوا وأفسدوا، وضيعوا شريعة الله ومنهج الله، وساقوا معهم الدهماء والجهال لتكثير سوادهم، ودفعوا بالصالحين المصلحين وألجأوهم إلى السكوت عن بغيهم طلبا لسلامتهم، وليس هذا مقصورًا على بني إسرائيل وإنما فشا حتى تسلل إلى أبناء ملتنا ولا نقول إلا ما يرضي ربنا : (إنا لله وإنا إليه راجعون) .

(١) تهذيب اللغة : مادة (شمت).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٦/ ١١٨، وحدائق الروح والريحان: ١٠/١٤٢..

المبحث السادس: مادة لقي في سياق الحديث عن موسى (عليه السلام) والعبد الصالح ـ الخضر (عليه السلام) ـ

وردت مادة لقي في سياق حديث القرآن الكريم عن موسى (عليه السلام) والعبد الصالح ـ الخضر (عليه السلام) ـ في موضعين:

الأول: قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ ﴾ الكهف: ٦٢.

والثاني: قوله تعالى : ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ﴾ الكهف: ٧٤.

أما عن حديث موسى والعبد الصالح، فقد روى البخاري بسنده عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: " حَدَّثَنَا أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَنَّ مُوسَى قَامَ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَسُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا، فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ، إِذْ لَمْ يَرُدَّ العِلْمَ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: بَلَى، لِي عَبْدٌ بِمَجْمَعِ البَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ قَالَ: أَيْ رَبِّ وَمَنْ لِي بِهِ؟ – وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ، أَيْ رَبِّ، وَكَيْفَ لِي بِهِ؟ – قَالَ: تَأْخُذُ حُوتًا، فَتَجْعَلُهُ فِي مِكْتَلٍ، حَيْثُمَا فَقَدْتَ الحُوتَ فَهُوَ ثَمَّ...."[(١)].

وروي أن موسى (عليه السلام) سأل ربه " أي عبادك أعلم؟ قال: الذي يبتغي علم الناس إلى علمه عسى أن يصيب كلمة تدله على هدى أو تردّه عن ردى، فقال موسى (عليه السلام): إن كان في عبادك من هو أعلم مني فادللني عليه، فقال: أعلم

(١) صحيح البخاري .(الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه): أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري . تحقيق :محب الدين الخطيب ، ومحمد فؤاد عبد الباقي (المطبعة السلفية . القاهرة . ط : الأولى : ١٤٠٠هـ) كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث موسى والخضر. حديث رقم ٣٤٠١.

منك الخضر، قال فأين أطلبه؟ قال: على الساحل عند الصخرة. قال يا رب: كيف لي به؟ قال: تأخذ حوتًا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك"(١).

فالرواية الأولى على أن الله هو الذي لفته إلى الذهاب إلى العبد الصالح بعد معاتبته له حين لم يرد العلم إليه، والثانية على أن موسى (عليه السلام) هو الذي سأل الله (ﷻ)الالتقاء بالخضر(٢).

والمتعين أن الخضر نبيّ أوحى الله إليه بوحي خاص(٣)، إذا لا يصح له أن يفعل ما فعله ورآه موسى منه إلا بوحي من الله، وهذا قوله: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِىٓ﴾

والمهم أن تلك القصة وردت بما فيها من معان جليلة، تبين فضل العلم وطلبه وتعليمه، وتواضع أهل الفضل في طلب ما فيه الخير والنفع، توضح بذلك الفارق بين أولياء الله كموسى (عليه السلام)، وأعدائه من أمثال إبليس الذي فسق عن أمر ربه؛ لذا كانت الواو في قوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ ﴾ الكهف: ٦٠ ، عاطفة على قوله : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ ۖ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ﴾ الكهف: ٥٠، عطف قصة على

(١) مفاتيح الغيب: ٢١/ ٤٧٨.

(٢) قصة موسى والخضر في القرآن الكريم. دراسة بلاغية تحليلية . د/ طلعت أبو حلوة . بحث منشور في مجلة القبس . كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق ـ جامعة الأزهر. العدد الثامن ـ ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م) صـ ١١٢ .

(٣) التحرير والتنوير: ١٥/٣٦٤.

قصة تقابلها للوقوف على البون الشاسع بين الموقفين موقف عدو الله إبليس، وموقف ولّيه موسى(١).

أما قوله: ﴿ لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾، فقد وردت فيه مادة (لقي) في سياق يتجلى عليه شدة التعب والإعياء التي حصلت لنبي الله موسى (عليه السلام) ولفتاه في سفرهما هذا، وفي التعبير عن حصول التعب والإعياء باللقيا تجسيد لهذا التعب، وكأنه صار من شدة وقعه مجسمًا محسوسًا، فهنا استعارة ما يستقبله الإنسان من محسوسات إلى ما يشعر به من معنويات، تجسيدًا لهذا الأمر المعنوي وإبرازًا لشدته وقوته وأثره على النفس، بعد أن طوى عن الذكر والخاطر أن يكون النصب من المعنويات، بل صار بعد ما مسته يد الاستعارة من المحسوسات، وواحدًا من أجناسها؛ لأنه تعب شريف نبيل، استمد شرفه ونبله من الغاية التي كانت سببًا في حصوله، فكان المناسب للتعبير عن حصول ذلك التعب والإعياء باللقيا؛ لما في تلك المادة (معنى ومبنى) من يسر واستساغة، وعناية وحفاوة لا تكون مع غيرها.

وجملة ﴿ لقد لقينا﴾ وقعت تعليلًا للأمر ﴿ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا ﴾﴾، والمقصود به العطاء، ولكنه عطاء مشوب بيسر وسهولة، يستلزمها سياق المصاحبة لتخفيف وعثاء السفر، ومن ثم كان الأمر بإخراج الزكاة معبّرًا عنه بالإيتاء؛ لما فيه من ترفق، وإعطاء للفقير من وجهه(٢).

وللتأكيد على شدة ذلك الإعياء صدر هذا الخبر بـ (لام) القسم الداخلة على حرف التحقيق (قد)، وقال ﴿من سفرنا﴾ دون في سفرنا، وكأن هذا النصب ثمرة من ثمرات ذلك السفر التي لم تكن في حسبانهما.

(١) ينظر: نظم الدرر: ٩٦/١٢. والتحرير والتنوير: ١٥/ ٣٥٨، ٣٥٩.

(٢) الصحاح: مادة (أتي) .

والإشارة للسفر باسم الإشارة (هذا) تمييز لهذا السفر أكمل تمييز، وتأكيد على شرف الغاية التي كان السفر من أجلها، وإضافة السفر إلى ضميرهما (سفرنا) يشير إلى خصوصيته بهما، وأنه لا يشاركهما غيرهما فيه.

وقد زاد التنكير في قوله: ﴿نَصَبًا﴾ من إظهار شدة ذلك النصب، واختلافه عن غيره، وأنه نوع من الإعياء لا يعرفه أحد، قد حصل لموسى (عليه السلام) وفتاه، رغم إظهار الجدّ منه (عليه السلام) وصدق العزم في طلبته، وقد بدا ذلك جليًا في قوله: ﴿لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا ٦٠﴾ الكهف: ٦٠ ، ومعناه: لا أبرح أسير حتى أبلغ مجمع البحرين، أي لا أزال على تلك الحال من المضيّ قُدُمًا إلى غايتي، من برح يبرح بروحًا أي زال، ويقال ما برح يفعل كذا أي ما زال، ولا أبرح أفعل ذاك أي لا أزال أفعله[1]، والمعنى: ألزم المسير والطلب ولا أتركه ولا أفارقه حتى أبلغ، والخبر محذوف لدلالة الحال واللفظ عليه، أما الحال فلأنها كانت حال سفر، وأما اللفظ فلأن قوله: ﴿حتى حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ غاية مضروبة تستدعي ما هي غاية له، فلا بد أن يكون المعنى: لا أبرح أسير حتى أبلغ مجمع البحرين[2].

وقد لفت الرازي (رحمه الله) إلى معنى دقيق في تلك الكلمة (برح) فقال: "لا أبرح أي أقيم؛ لأن البراح هو العدم، فقوله لا أبرح يكون عدمًا للعدم فيكون ثبوتا، فقوله: لا أزال ولا أبرح يفيد الدوام والثبات على العمل"[3]، وكانه يرمي إلى إقامته على المسير ودوام سعيه في طلبته مرتين: مرة بالنفي في (لا) ومرة

(١) لسان العرب : مادة (برح) .
(٢) ينظر: الكشاف: ٢/٣٧١.
(٣) مفاتيح الغيب: ٢١/٤٧٩.

بالإثبات في (برح) الدال على العدم، فيحصل بنفي النفي إثبات على وجه آكد من الإثبات ابتداءً.

ولإظهار مضاء العزم فيما عقد العزم عليه قال : ﴿ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا ﴾، وهذا ترقّ واضح في إظهار التجلد وتوطين النفس على تحمل التعب في سبيل تحقيق طلبتها خاصة إذا كان طلبا للعلم النافع، قال الرازي (رحمه الله): " وذلك تنبيه على أن المتعلم لو سافر من المشرق إلى المغرب لطلب مسألة واحدة لحق له ذلك"[(١)]، ومن ثم كان التعبير عن حصول التعب في ذلك المسير باللقيا، تلذذًا بهذا النصب واستساغة له.

والحقب: ثمانون سنة وقيل أكثر من ذلك[(٢)]، والسياق على أنها مدة طويلة من الدهر غير منحصرة المقدار، والغرض من ذكرها الدلالة على شدة المضاء وصدق العزم في مواصلة المسير حتى تحصيل البُغية.

والملاحظ أن موسى (عليه السلام) قد أسند أمر البلوغ والمضيّ إلى نفسه، فقال: (أبلغ وأمضي) دون تعرض لذكر فتاه؛ علمًا بأنه قد صحبه حتى بلغ ما تغياه؛ وذلك إبرازًا للذات، وإظهارًا لشدة التهيؤ والاستعداد، وتحمل مشاق السفر حتى وإن خاض عبابه وحده، في حين أظهر ضمير الجمع في قوله: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا ﴾حينما قطعا شوطًا كبيرًا في سفرهما، بعد تأييس فتاه من محاولة رجوعهما، وشحذ عزيمته؛ ليساويه في صحة العزم حتى يكونا على عزم متحد[(٣)].

(١) السابق: الصفحة ذاتها.

(٢) لسان العرب: مادة (حقب)

(٣) التحرير والتنوير: ٣٦٥/١٥.

والفتى هو الخادم أو العبد أو التابع، سمي به يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف (عليه السلام)، إذ كان يخدم موسى (عليه السلام) ويتبعه، وقيل يتعلم منه، حتى صار ولي عهده بعد وفاته، ويسمى التلميذ فتى وإن كان شيخا[1]، وإضافة الفتى إلى ضمير موسى (عليه السلام) يشي بشدة الملازمة وقوة الصحبة بينهما، وفي التعبير به ملاطفة تعين على وعثاء السفر ونَصَبِه، مما يتسق مع التعبير عن حصول التعب باللقيا، وما فيه من عناية وحفاوة تجعل التعب في طلب العلا أمرًا مستساغًا ومحببًا.

أما **الموضع الثاني** الذي وردت فيه مادة (لقي) في سياق الحديث عن موسى والعبد الصالح فقد ورد في قوله تعالى: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ﴾ الكهف: ٧٤.

تمثل هذا الآية بداية ثاني المواقف التي تعرض لها موسى (عليه السلام) مع العبد الصالح، والتي تكشف عن علوم لم يخبرها من قبل لاتصالها الوثيق بمآلات الأمور، وما لا يطلع عليه إلا الله (سبحانه وتعالى) ومن أذن له بالاطلاع عليه.

وهي هنا تحكي موقفًا غريبًا لا يصبر على السكوت عليه إلا من يعلم مآلات الأمور، ويتلخص ذلك الموقف فيما عرض لموسى (عليه السلام) والخضر بعد مفارقتهما السفينة، فقد عنّ لهما غلامٌ حسن الطلعة بهيّ المنظر، وضيء الوجه، يلعب مع أقرانه، وإذا بالخضر يأخذه من بين أقرانه فيقتله[2]، فلم يصبر موسى

(١) ينظر: مفاتيح الغيب: ٤٧٩/٢١، وإرشاد العقل السليم: ٣١/٥.

(٢) صحيح مسلم: (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ) : مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي. (دار إحياء التراث العربي – بيروت). كتاب الفضائل . باب من فضائل الخضر عليه السلام . حديث رقم : ١١٧٠/ ٢٣٨٠.

(عليه السلام) على ما رآه، وانطلق مُنكرًا على الخضر: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾.

وقد جاءت مادة (لقي) في قوله: ﴿لَقِيَا غُلَٰمًا﴾ مقصودًا بها استقبال ذلك الغلام ومواجهته، ولكنه استقبال مصحوب بمعاني البشر ووضاءة الوجه وحسن الطلعة التي كان عليها الغلام، مما يروث في النفس عند مرآه حفاوة به وأنسًا، وتلك المعاني لم نكن لنجدها لو وضع لفظ آخر غير اللقيا في التعبير عن مقابلة ذلك الغلام، كما عكست البون الشاسع بين أول الأمر من حصول معاني البشر والحفاوة، وعاقبته التي حصلت بقتل ذلك الغلام؛ لتكون تلك المفارقة هي باعث الإنكار في نفس موسى، والحاملة على نقض العهد بالتزام الصبر، حيث رأى ما لا طاقة له على الصبر عليه.

والآية كلها مبنية على تلك المفارقة الغريبة، التي تبرز غرابة الموقف، فأبرزت من صفات الغلام ما يدفع إلى التعلق به والرغبة في استبقائه، وكأنها تقدّم العذر لنبي الله موسى (عليه السلام) في عدم الصبر على قتله، فجاء التنكير في ﴿غلام﴾ يكشف دلّه وبهاءه وحسن طلعته، وعبر عن مقابلته باللقيا التي لا تنفك عن الحفاوة والعناية، وكأنه حين بدا بين إخوانه بدا مُتفردًا عنهم لا يشبههم ولا يشبهونه.

وقد كشفت (حتى) في قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا﴾ بثقل وقعها عن حط رحال الانطلاق الذي شرعا فيه في ملاعب هؤلاء الصبية، وكأن الغاية من الانطلاق الجاد الذي انطلقا فيه تتمثل في الوصول إلى ساحة ذلك الغلام ومكان إيجاده، و(إذا) هنا تعكس قوة المفاجأة التي حصلت عند لقياه، فتثاقلت الأقدام، ووقف الركب عن مواصلة المسير.

والفاء في (فقتله) تطوي أحداثًا ومشاعرًا وتعلقات بذلك الغلام، وتدخل القتل على فعل اللقيا، ولا تجعله جوابا له، كما كان في قوله: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾ الكهف: ٧١، وإنما جواب (إذا) هو ما لهج لسان موسى

(عليه السلام) به بعد ما أهاجه فعل الخضر وإسالة دماء ذلك الغلام، قائلا: ﴿ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴾، في أسلوب تسلطت فيه همزة الاستفهام على الفعل؛ لأنه محل الإنكار، ولا يجوز في عقل ذي عقل أن يحصل، وزاد من حشد وسائل الإنكار تنكير (نفس) والغرض منه هو ما كان في تنكير الغلام، من معاني التعظيم والتفخيم لتلك لنفس، وزادها الوصف (زكية) تفخيما وتعظيمان وفي قراءة (زاكية) وقد نقل البغوي (رحمه الله) عن الكسائي والفراء قولهما أن معنييهما واحد، ونقل عن أبي عمرو بن العلاء أن الزاكية التي لم تذنب قط، والزكيّة التي أذنبت ثم تابت[1].

والنفس من معانيها الروح والضمير والروع، وتطلق على جملة الشخص[2]، ولا مانع من إرادة كل تلك المعاني؛ لأن الغرض تعظيم قتل هذا الغلام، والتشنيع على القاتل.

وقوله ﴿ بِغَيْرِ نَفْسٍ ﴾ قيد ارتكن إليه من ادعى ان الغلام لم يكن صغيرًا، وإنما كان من المكلفين[3]، وإنما سمي بذلك لاعتبار ما كان، أو لفتوة فيه، فإن العرب تسمي الرجل الكبير بالغلام، كما في قول ليلى الأخيلية تمدح الحجاج :

إذا ورد الحجاج أرضا مريضة * تتبع أقصى داءها فشفاها**
شفاها من الداء العضال الذي بها غلام ذا هزّ القناة سقاها[4]

---

(١) معالم التنزيل: ٢٠٨/٣.

(٢) لسان العرب : مادة (نفس).

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب: ٤٨٧/٢١.

(٤) ينظر: المحرر الوجيز :٥٣٢/٣. والأبيات في ديوان ليلى الأخيلية: تحقيق: خليل إبراهيم العطية وجليل العطية: (وزارة الثقافة والإرشاد – مديرية الثقافة العامة، العراق دون تاريخ) . صـ١٢١. وفيه : إذا هبط الحجاج أرضا ... والكامل في اللغة والأدب : محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (المتوفى: ٢٨٥هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم (الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة : الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م) جـ١/ صـ٢٤٢.

ثم جاء قوله: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾ يمثل قمة الثورة على فعل العبد لصالح، حيث لم ينتظر فيه جوابًا عن سؤاله، وإنما عاجله بالحكم؛ لأنه في نظره من أعظم المناكير؛ لذا وصفه بالنكر، أي أمر تنكره العقول، ولا شك في أن هذا الفعل كان أشد وقعًا على النفس من خرق السفينة، الذي لم يترتب على خرقها غرق أحد من أهلها، فكان الإنكار هناك أقل حدة، وأقرب إلى المجادلة منه إلى الإنكار والتوبيخ، ومن ثم قال هناك: ﴿ إمرًا﴾ وقال هنا: ﴿ نُكرًا﴾، والنكر لا يكون إلا في الشر، فلا يستعمل إلا في المذموم، وما ينكره العقل فهو شر، ولما كان خرق السفينة لم يكن معه غرق كان أسهل من قتل الغلام، فصار لكل من (الإمر والنكر) معنى يخصه(١).

المهم أن مادة (لقي) هنا كان له دور بارز في تأجيج الإنكار من موسى (عليه السلام) على فعل العبد الصالح؛ لما رسمته من ملامح البشر والسرور عند ملاقاة ذلك الغلام، على وجه كان ينبغي معه أن يلقى به الحفاوة منهم والتكريم والعناية، فلما وقع ما وقع كان له أثره البالغ في نفس موسى (عليه السلام)؛ لأنه وقع على خلاف ما أمّل، الأمر الذي حدا بالخضر (عليه السلام) إلى مغايرة الخطاب مع موسى

(١) ينظر: أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان المؤلف: محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (المتوفى: نحو ٥٠٥هـ) تحقيق : عبد القادر أحمد عطا. مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض (دار النشر: دار الفضيلة) صـ ١٧٠، ودرة التنزيل وغرة التأويل: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي (المتوفى: ٤٢٠هـ) . دراسة وتحقيق وتعليق: د/ محمد مصطفى آيدين (جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالي سلسلة الرسائل العلمية الموصى بها (٣٠) معهد البحوث العلمية مكة المكرمة الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م)١/ ٨٧٩، وحديث موسى والخضر : ٥٥ .

(عليه السلام) على وجه يظهر به المبالغة في العتاب على عدم الصبر وقلة التثبت، فقال: ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ ﴾ الكهف: ٧٥ ، "فزيد (لك) لزيادة المكافحة بالعتاب على رفض الوصية وقلة التثبت والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز الاستنكار ولم يرعو بالتذكير حتى زاد في النكير في المرة الثانية"[١]

***

(١) إرشاد العقل السليم: ٢٣٦/٥.

الخـــــــاتمة

وبعد هذه التطوافة المباركة، والنظر في مادة (لقي) في حديث القرآن عن موسى (عليه السلام)، ومراجعة السياق والمقام الذي وردت فيه تلك المادة وأثر السياق في توجيه دلالتها، يمكن إجمال ما توصل إليه البحث من نتائج فيما يلي:

أولًا: بمراجعة الدلالة المعجمية لمادة (لقي) في معاجم اللغة، تبين أن معناها يدور حول الوضع والطرح والاستقبال، وما فيه إلغاز وتعمية.

ثانيًا: بالوقف على جميع المقامات والسياقات التي وردت فيها مادة (لقي) في حديث القرآن عن موسى (عليه السلام) نرى أن تلك المادة جاءت مصحوبة بما يدل على العناية الشديدة والحفاوة البالغة بما أضيفت إليه، مما يعني تخصيص ما ذكره المعجميون في دلالة تلك المادة في هذا المقام، وعدم إطلاقه على كل طرح أو استقبال، وإنما ما توافرت فيه العناية والحفاوة، واستدعى وجها خاصًا من الطرح أو الاستقبال يظهر معه مدى قيمة ذلك الشيء المطروح أو المستقبَل، وبهذا يحصل التمايز بين مادة (لقي) وما في معناها كالقذف والرمي، فالقذف رمي بشدة، والرمي فيه ضعف وهوان، أما الإلقاء والتلقي ففيه طرح واستقبال مصحوب بعناية وحفاوة لا تظهر مع القذف والرمي أو ما في معناهما.

وبعد فما كان من توفيق فمن الله وحده، وإن كانت الأخرى فحسبي أني اجتهدت قدر وسعي وطاقتي، والله من وراء قصدي وهو حسبي ونعم الوكيل .

فهرس المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**

١. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ). تحقيق : عبد القادر أحمد عطا (دار إحياء التراث العربي – بيروت)

٢. أساس البلاغة : جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري : تحقيق : محمد باسل عيون السود (دار الكتب العلمية ـ بيروت . لبنان . ط : الأولى ١٤١٩هـ . ١٩٩٨م)

٣. استثمار الأسلوب العدولي ف تذوق النص القرآني ، د/ عيد محمد شبايك : مجلة كلية الآداب – جامعة المنوفية – العدد الثامن – يناير – ٢٠٠٤م.

٤. أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان: محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (المتوفى: نحو ٥٠٥هـ) تحقيق : عبد القادر أحمد عطا. مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض (دار النشر: دار الفضيلة)

٥. أصوات اللغة العربية : د/ عبد الغفار هلال. (مطبعة الجبلاوي . لطبعة الثاني. ١٤٠٨هـ ـ١٩٨٨م)

٦. أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) . تحقيق : محمد عبد الرحمن المرعشلي(دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ)

٧. الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع) : الخطيب القزويني . جلال الدين محمد بن عبد الرحمن. تحقيق : إبراهيم شمس الدين (دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان . ط: الأولى : ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م)

٨. التحرير والتنوير: التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» : محمد الطاهر بن محمد بن عاشور (الدار التونسية للنشر ـ تونس . ١٩٨٤ م)
٩. تفسير الشعراوي – الخواطر : محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ) (مطابع أخبار اليوم ـ ١٩٩٧م)
١٠.التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: د وهبة بن مصطفى الزحيلي (دار الفكر المعاصر – دمشق . الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ)
١١.تهذيب اللغة . محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي . تحقيق . محمد عوض مرعب (دار إحياء التراث العربي ـ بيروت . ط . الأولى . ٢٠٠١م)
١٢.حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن : الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي (دار طوق النجاة، بيروت – لبنان . الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م)
١٣.درة التنزيل وغرة التأويل: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي (المتوفى: ٤٢٠هـ) . دراسة وتحقيق وتعليق: د/ محمد مصطفى آيدين (جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالي سلسلة الرسائل العلمية الموصى بها (٣٠) معهد البحوث العلمية مكة المكرمة الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م)
١٤.دلالات التراكيب . أ.د/محمد أبو موسى . (مكتبة وهبة ـ القاهرة . ط: الرابعة. ١٤٢٩هـ . ٢٠٠٨م)
١٥.دلائل الإعجاز . أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني . تحقيق : محمود محمد شاكر (مكتبة الخانجي ـ القاهرة . ط : الخامسة .١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م)

١٦.ديوان ليلى الأخيلية: تحقيق: خليل إبراهيم العطية وجليل العطية: (وزارة الثقافة والإرشاد – مديرية الثقافة العامة، العراق دون تاريخ) .
١٧.روح البيان : إسماعيل حقي بن مصطفى الخلوتي. المتوفى (١١٢٧هـ) (درا الفكر ـ بيروت).
١٨.روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي . تحقيق : علي عبد الباري عطية (دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان . ط: ١٤١٥هـ)
١٩.سنن ابن ماجة : أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني . تحقيق : شعيب الأرنؤوط . (دار الرسالة العلمية . ط: الأولى : ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م)
٢٠.السنن الكبرى: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) تحقيق : محمد عبد القادر عطا (دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م)
٢١.الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية . لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي . تحقيق : أحمد عبد الغفور العطار (دار العلم للملايين ـ بيروت . ط . الرابعة : ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م)
٢٢.صحيح البخاري .(الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه): أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري . تحقيق :محب الدين الخطيب ، ومحمد فؤاد عبد الباقي (المطبعة السلفية . القاهرة . ط : الأولى : ١٤٠٠هـ)
٢٣.صحيح مسلم: (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ) : مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي. (دار إحياء التراث العربي – بيروت)

٢٤.علم المعاني . دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني . أ.د/ بسيوني فيود . (مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ـ القاهرة . ط. الثالثة : ١٤٢٩هـ ـ ٢٠١٠م)
٢٥.العين : أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ) تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي (دار ومكتبة الهلال. دون تاريخ)
٢٦.الفروق اللغوية : أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري . تحقيق : محمد إبراهيم سليم . (دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع ـ القاهرة . ١٩٩٨م)
٢٧.في ظلال القرآن : سيد سابق . (دار الشروق . الطبعة : الثانية : ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م)
٢٨.الكامل في اللغة والأدب : محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (المتوفى: ٢٨٥هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة : الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م)
٢٩.الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري (دار الكتاب العربي ـ بيروت . ط : الثالثة . ١٤٠٧هـ)
٣٠.لسان العرب . محمد جمال الدين بن منظور . (دار صادر ـ بيروت . ط. الثالثة . ١٤١٤هـ)
٣١.محاسن التأويل: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ) تحقيق: محمد باسل عيون السود (دار الكتب العلمية – بيروت . الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ)
٣٢.المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد (دار الكتب العلمية – بيروت . الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ)

٣٣.معجم البلدان: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ) (دار صادر، بيروت . الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م) جـ٥/صـ٧٧.

٣٤.مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: لابن هشام الأنصاري. تحقيق: د/ عبد اللطيف محمد الخطيب. (الكويت . المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب . الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م)

٣٥.مفاتيح الغيب: أو التفسير الكبير . أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن الرازي الملقب بفخر الدين الرازي . (دار إحياء التراث العربي – بيروت . ط : الثالثة – ١٤٢٠ هـ)

٣٦.من حديث يوسف وموسى في الذكر الحكيم: د/ محمد أبو موسى . (مكتبة وهبة ـ القاهرة . الطبعة : الأولى: ١١٤٤٢هـ ـ ٢٠٢١م)

٣٧.الموطأ: للإمام مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩هـ) تحقيق: بشار عواد معروف – محمود خليل (مؤسسة الرسالة: ١٤١٢ هـ)

٣٨.نظم الدرر في تناسب الآيات والسور . إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي . (دار الكتاب الإسلامي، القاهرة . دون رقم الطبعة وتاريخها)

٣٩.النهاية في غريب الحديث والأثر : مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ) تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي (المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م)

٤٠.الوسيط للزحيلي : د/ وهبة بن مصطفى الزحيلي (دار الفكر – دمشق. الطبعة : الأولى – ١٤٢٢ هـ)

- **الأبحاث العلمية**

١. قصة موسى والخضر في القرآن الكريم. دراسة بلاغية تحليلية . د/ طلعت أبو حلوة . بحث منشور في مجلة القبس . كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق ـ جامعة الأزهر. العدد الثامن ـ ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م)

٢. مقامات التعبير بمادتي القذف والرمي في النظم القرآني . فروق دلالية وأسرار بلاغية. (بحث منشور في المؤتمر الدولي الثاني لكلية اللغة العربية بالمنوفية ، وموضوعه تراثنا العربي والفكر الحداثي . ٤٣٩هـ ـ ٢٠١٨م)